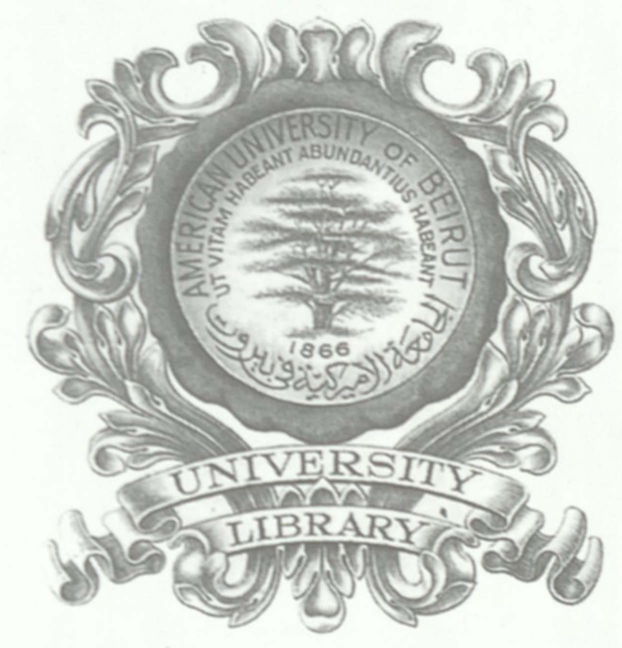
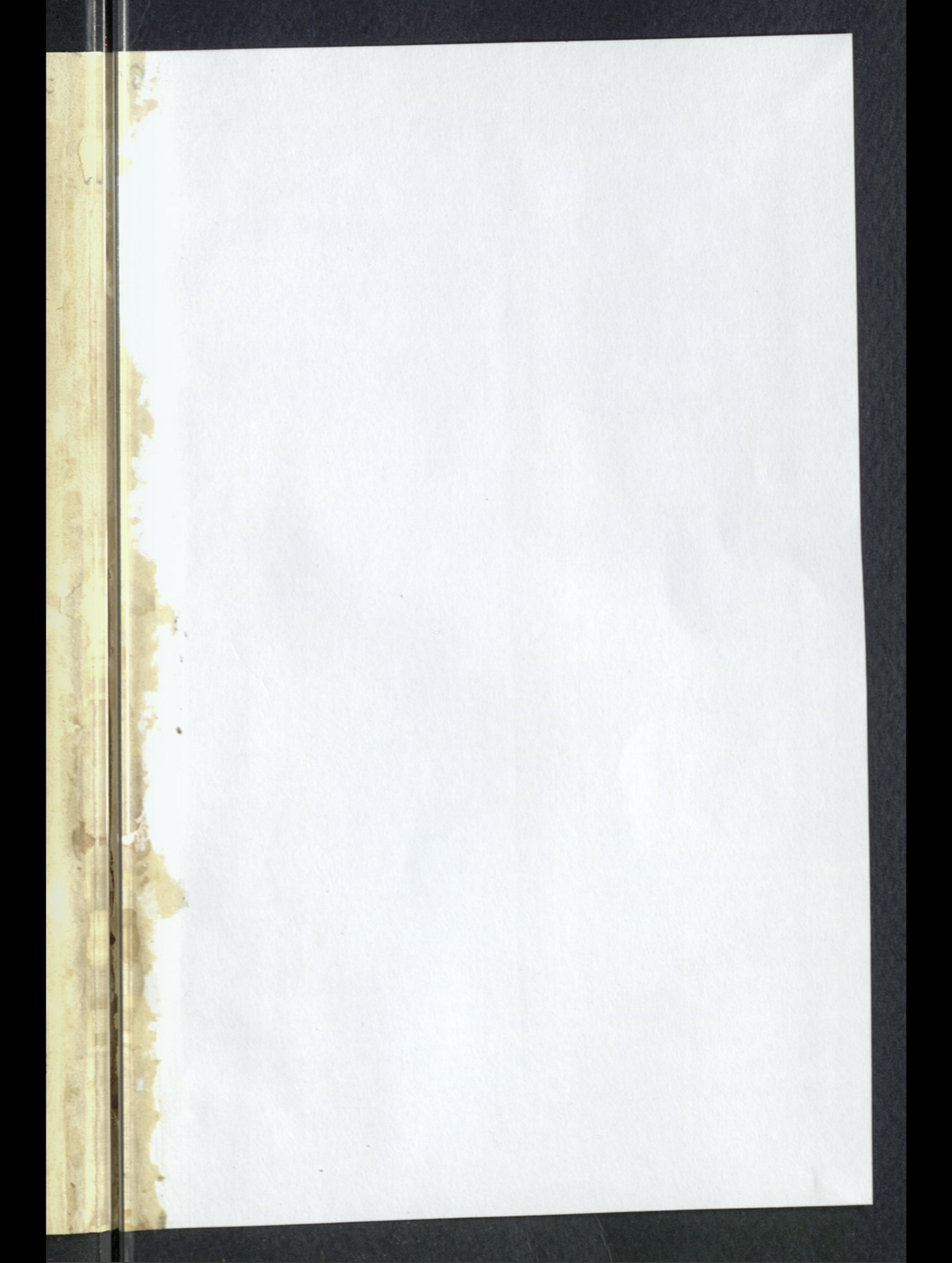
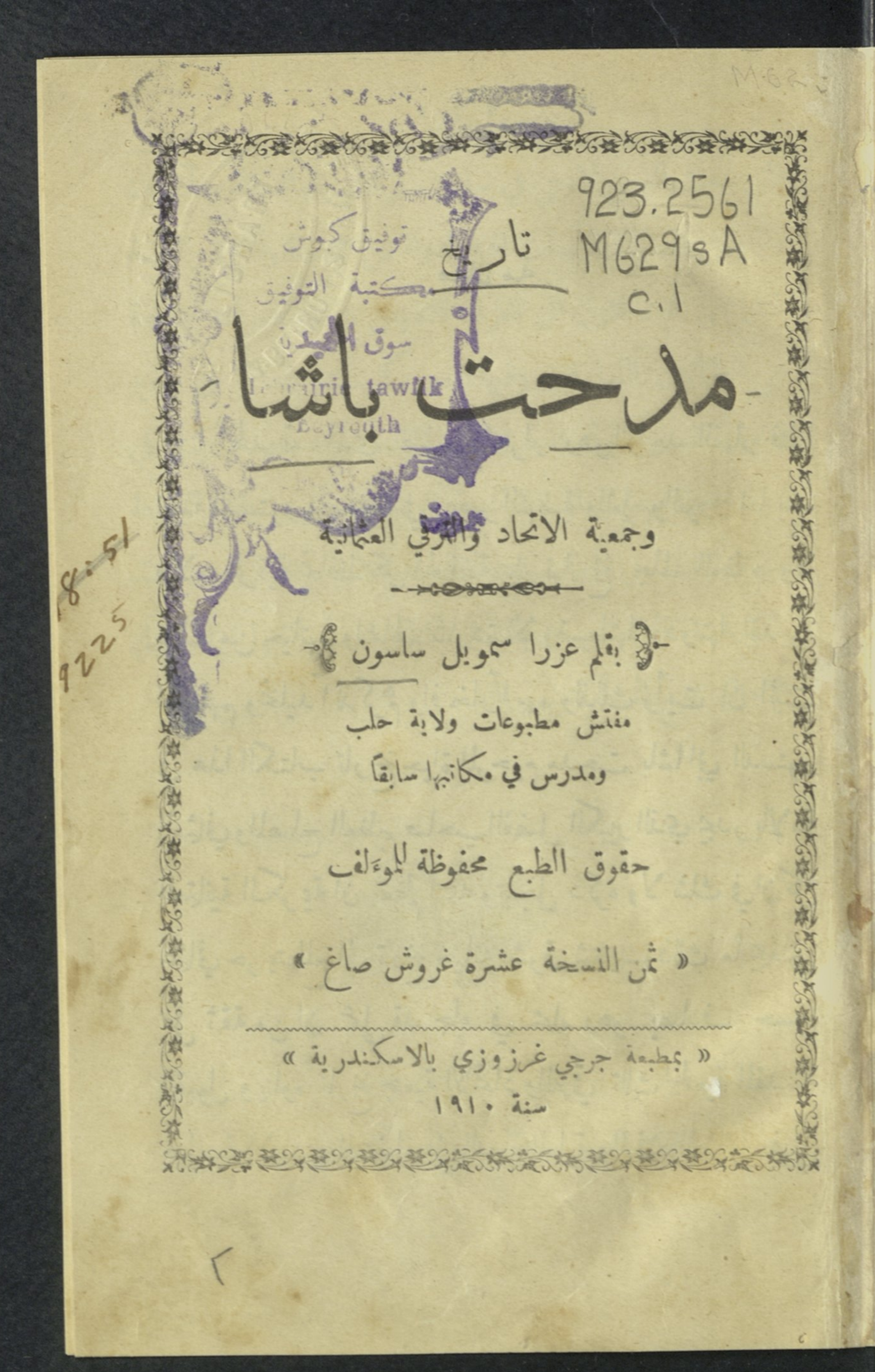

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
UNIVERSITY
LIBRARY





تاريخ

مدحت باشا

وجمعية الاتحاد والترقي العثمانية

بقلم عزرا سمويل ساسون

مفتش مطبوعات ولاية حلب
ومدرس في مكاتبها سابقاً

« ثمن النسخة عشرة غروش صاغ »

« بمطبعة جرجي غرزوزي بالاسكندرية »
سنة ١٩١٠

مقدّمة

الحمد لله الذي نصر الاحرار وهو الواحد القهار فنلنا نعمة الدستور واصبحنا في عصر النهضة والعلم والنور · اما بعد فالامم الراقية تحافظ كل المحافظة على تواريخ رجالها العظام ولا تترك من حياتهم واعمالهم شاردة الا وضبطتها ودونتها تقديراً لفضلهم وتخليداً لذكرهم وافتخاراً بهم ولذلك رأيت ان اثبت في هذا الكتاب تاريخ حياة المرحوم مدحت باشا ابي الدستور العثماني والمصلح العظيم صاحب الفضل الكبير الذي يجدر بالامة العثمانية الكريمة ان تعظم اسمه وتبجل ذكره ولا شك في ان كل عثماني حر يتطلع الى تاريخ حياته بشوق شديد وذلك ما يجعلني على ثقة من ان عملي قد جاء في محله وهو يصادف حسن القبول ويتلوه تاريخ جمعية الاتحاد والترقي تلك الجمعية المقدسة صاحبة الايادي البيضاء على الدولة العلية والبلاد العثمانية فهي

التي سعت السعي الاوفى في سبيل نشر الحرية والعدالة والمساواة والفضل فضلها فيما وصلت اليه الدولة من النهضة والقوة والنعمة فتاريخها اهم مما تتوق الى معرفته النفوس بل ان معرفته واجبة على العثمانيين الصادقين وفيها خير ذكرى للذاكرين وخير قدوة للمقتدين . وقد اضفت الى ما تقدم بيانه فصولاً شتى في موضوعات مهمة تتعلق بالجندية العثمانية والبحرية والزراعة متوخياً الفائدة العامة وخدمة الدولة والامة واتبعتها بمنتخبات شعرية رائقة فعسى ان يصادف كتابي حسن القبول والله ولي الامال سميع الدعاء مجيب النداء



طفولية المرحوم مدحت باشا

وُلد المرحوم مدحت باشا في الاستانة العلية سنة ١٨٢٢ ميلادية فكانت طفوليته معرضـة لاشد الاضطرابات بسبب الازمة السياسية الهائلة التي ضربت اطنابها في الدولة العلية العثمانية والحروب المستمرة التي قضت على بعض ولاياتها وكادت تمزقها تمزيقاً فاتحة عليها ابواب الضغط والانتقام والدسائس والمشاكل حتى اظلم جو السياسة واستحكمت حلقات الفتن واصبحت الدولة في اشد المخاطر والمهالك

ولقد قام ساكن الجنان السلطان محمود خان الثاني يصلح الامور ويدبر الشؤون فضرب الانكشارية ضربة شديدة وقضى على اولئك الذين كانوا معاكسين للحكومة فحقاً كان الانكشارية عنصراً خطيراً ولكنهم كانوا لدى الحاجة والضرورة ركناً يستعان به وقد فات الدولة ان تعد فرقة اخرى لتقوم

مقامهم فمن وراء هذا الخطاء باتت الدولة في وادي الارتباك وتراكمت عليها المشاغل والمشاكل وهي حال كادت تؤدي بها الى الخراب

فانتشرت الفوضى في جميع ارجاء السلطنة العثمانية طولا وعرضاً لسوء تصرف الساسة الكبار من اعيان وموظفين لانهم اخذوا يهيجون الخواطر ويحضون اولئك المساكين الذين يجهلون الحق ولا يميزونه من الباطل على كل شيء مخالف للنظام

فعليه اختل الامن العام وضاع النظام والانتظام فكانت نشأة المرحوم مدحت باشا في هذا الطور الغريب والزمان العجيب فبات يتراوح بين القلاقل والمتاعب والاسف والتأثر العظيم من هذه الحال والمسلك الضار للبلاد والعباد باختلال الامن واضطراب المصالح واستبداد الحكام وتبديد اموال الدولة

ثم استمر الحال على هذا المنوال بضع سنين وما اخذت الغيوم تنقشع من افق السياسة العثمانية الا في النصف الثاني من عهد السلطان محمود خان الثاني حيث بدت نهضة جديدة

كسبت فيها روح التنظيم ثباتاً وحزماً قويين

× فضاعف مدحت حينئذ همته وكان ميله الى الخوض في اعظم الامور شديداً ووقوفه على شوءون دولته تاماً فصار يتلقى العلوم عن ابيه بكل جهد واجتهاد

× وكان ابوه في ذلك الحين من اكبر الميالين الى الترقي والعمران ومن اعظم السياسيين بين رجال الدولة ومثال الاستقامة والنزاهة وعنوان الفضل والكمال فكان لابنه مدحت اول استاذ فنعم الاستاذ ونعم التلميذ

لقد كان تقدم هذا التلميذ باهراً ونجاحه سريعاً فدخل في دوائر الحكومة للتمرن وعمره وقتئذ اثنا عشر عاماً وما انقطع عن درس العلوم عن ابيه فكان مداوماً عليها اناء الليل واطراف النهار وخصص لها جميع قواه العقلية وهكذا تعلم وتمرن على الاعمال وبرع في الامور الداخلية والخارجية وادرك الصعوبة التي وقفت سداً منيعاً دون التنظيمات اللازمة بسبب الاغراض الشخصية التي كانت اشد الرذائل وراس المعاصي

فبعد هنيهة من الزمان استفاد السلطان محمود خان نوعاً

من الهدوء والسكينة التي سادت في الدولة مدة وجيزة وادخل اصلاحاً كثيرا في العسكرية والملكية والعدلية

مدحت في عهد عبد المجيد

سار ساكن الجنان السلطان عبد المجيد في مضمار التقدم والنجاح على خطة السلطان محمود خان الثاني واعلن الخط الشريف الذي بمقتضاه جدد اصول المحاكمات والنظامات في جميع دوائر السلطنة العثمانية

فلما استراح باله من قبل الحوادث الداخلية ومن قبل عواصف السياسة الخارجية تفرغ لتطهير المملكة من الذين كانوا متمسكين بحبال الاستبداد يستفيدون من احوال الدولة الحرجة ويملأون بطونهم بالدنانير من هضم الحقوق وسلب حرية منكودي الحظ ظلما واغتيالاً

ولما شرع السلطان في عمله هذا تألف حزب قوي لمقاومة الخطة الاجرائية القاضية على سوء اعمالهم فكان حينئذ لمدحت

عمل شريف وحزم نادر المثال وكان من المحال ان يتحوّل عن خطته في سبيل خدمة الوطن وعن افكاره الراقية ليلتحق بالذين يضمرون الشر لوطنهم ويميلون الى فساد الآداب ورداءة العادات وسيادة الجهل لتنفيذ مآربهم ويبغضون السير في سبيل اصلاح بلادهم وهكذا كان مدحت مخلصاً لدولته وشفوقاً على ابناء وطنه

مدحت وشيخ الاسلام

المرحوم عارف بك

وقد تلقى مدحت بعض الدروس على المرحوم عارف بك شيخ الاسلام في ذلك الحين فكانت تلك الدروس تشد ازره وتقوي فيه روح التقدم والعمران وترسخ في عقله المبادىء السامية التي اكتسبها عن ابيه

وقد كان عارف بك معروفاً بنزاهة الفكر واصالة الرأي وحسن السجايا وكرم المزايا عالماً متنوراً من نخبة علماء الدولة في ذلك الوقت ومن زعماء المصلحين المشهورين ومن اشهر الميالين الى المبادىء الدستورية الحرة

هذا وكان يخطب خطباً نفيسة بفصاحة لسـان وقوة جنان ويعرب عن افكاره السامية وينادي من اعلى المنابر ان المبادىء الدستورية ليست مخالفة للديانة ولا مضرة بها لانه كان بعيداً عن العقائد المضرة بالاصلاح وغير معارض ومخالف لما يصلح في دوائر الحكومة على نمط الدوائر الاوروباوية حتى انه قال ما معناه :

« لقد منعنا عن الالتحاق بما يضر في اساس الديانة الا ان ما يعمل الآن هو مطابق لها فلا لزوم لرفضه او ردّه ومنعه بالنظر الى اصله ومنشأه لانها لا تمنع تقليد ما اوصت به »

على انه قد استحسنت هذه المبادىء هيئة كبيرة من الاعيان والموظفين اولئك الذين لم يكن على عقولهم غشاوة والتحق بها كثيرون من المحافظين الذين لم تؤثر فيهم اقوال المأخوذين بحب الاغراض حتى هدأت الافكار واستراحت الخواطر واخذت المعارضات والدسائس تدخل في حكم الخيال

وفي اثناء ذلك أدخلت عدة تنظيمات في دوائر الولايات على قدر ما سمحت به الظروف واستطاعت الاحوال . ولما

كان قد اشترك المرحوم مدحت باشا في هذا التنظيم لدفع البلاء الداهم فقدصار يجد ويجتهد في المساعي المبرورة والاعمال المشكورة طبقاً لمصلحة البلاد ورغما عن صغر سنه واحدوثته في شؤون السياسة فكان لهذا التنظيم اشد عامل واكبر مساعد وضاعف غيرته على اثر هذه الاعمال الشريفة التي شجعته ليداوم على خطته الادارية

مدحت والمرحوم فائق بك

ثم التحق مدحت بفائق بك الذي كان وقتئذ كاتباً في قلم المحاسبة وفي سنة ١٨٣٨ قصدا سوريا وكان عمر مدحت ستة عشر عاماً

فلبثا في ولاية سوريا ثلاث سنوات وعاد مدحت الى الاستانة حيث استلم وظيفته في قلم المحاسبة وبعد مدة وجيزة انتدبته الحكومة لبعض امور مهمة في مراكز الولايات

وفي اثناء ذلك قسم السلطان عبد المجيد الدولة العثمانية

الى ست وثلاثين ولاية وكل ولاية الى ثلاثة اقسام الاول المتصرفية والثاني القائمقامية والثالث المديرية

ومع هذا التقسيم كان لولاة الولايات ابواب كثيرة للتخلص من مراقبة السلطة الرئيسية في الاستانة العلية رغماً عن التقسيم الاداري المار ذكره وعن النظام الاداري الجديد للولايات الذي جعل في جميع انحاء السلطنة تبديلا ظاهراً وتغييراً ناطقاً في كافة الدوائر والمصالح

ولما رأى الولاة المجال حراً في اثناء هذا الانقلاب اتوا باعمال منكرة وتعدوا على الهيئة المحكومة حتى اصبح الخط الشريف للتنظيمات في خطر شديد وكاد يذهب كصرخة في واد فعليه قامت الاهالي وقعدت وهاجت الخواطر وصارت الشكاوي ترد من كل حدب وصوب والتقارير ترفع من كل بلدة والعرائض ترسل من كل ناحية وقرية وتمطر على المراجع العليا ضد الولاة والمتصرفين والقائمقامين لما ظهر منهم وما اتوا به من الجور والاستبداد

فكانت الحال وخيمة اقلقت بال الحكومة التي استاءت

كثيراً واخذت تفكر ساهرة في هذه الحالة الخطيرة وفي ايجاد الدواء الشافي والضمان الكافي لتضرب على ايدي المعتدين وتقاوم الارتجاعيين وتتقي شر المفسدين فخطر لها الدواء الناجع الا وهو « اللجان الاعمارية »

مدحت والمجالس الاعمارية

اخذ المجلس الاعلى على عاتقه تشكيل هذه اللجان وتنظيمها وتدبيرها وترتيبها فكل لجنة حوت ثلاثة اعضاء احدهم من صف الضباط وثانيهم من الاعيان وثالثهم من العلماء

ولقد كان من مهمة هذه اللجان ان تطوف وتجول في المدن العثمانية حيث تأخذ الاستعلامات اللازمة عن ولاة الامور وتنزع السلطة الادارية من ايدي الذين تعدوا على الاهالي واستبدوا ثم تقترح ما يلزم اتخاذه واجراؤه ليقف الضرر عند حده فيستفاد مما تقدم ذكره ان خطة المجالس الاعمارية كانت حميدة ومهمتها دقيقة وصفتها الاجرائية مقبولة ومرضية والدليل

الساطع والبرهان اللامع هو المنشور الذي اصدره الباب العالي في ١٣ ابريل سنة ١٨٤٥ ونشر في كافة الولايات وهكذا بعث الباب العالي فيه يقول

« قد استدعينا من الولايات نخبة ابناء الوطن وافضلهم لكي ندقق ونبحث في الحالة الحاضرة وفي ما هو يهم سعادة وراحة الامة العثمانية وليكن معلوماً انه لم يكد الباب العالي يصدر الاوامر بهذا الشان الا واعلنت الانتخابات في جميع جهات الدولة وانتخبوا رجالاً من ذوي المقدرة والكفاءة الجديرين بالنيابة عن الامة وقد تداولنا معهم وتشاورنا فيما يهم لراحة العباد وخير البلاد طبقاً لما ابدوه من الاراء السديدة والحقائق الظاهرة والافكار الصائبة والاقتراحات المفيدة فلا ريب في ان للباب العالي الان الوسائط الكافية لمنع الفظائع ورفع لواء المساواة والعدالة وقد استقر رأي الحكومة على ترتيب النظامات والقوانين العادلة وحين تنتهي « المضبطة » التي باشرنا في عملها سننتقل من القول الى العمل بهيئة منتظمة ونقدم الاهم على المهم وبما ان حضرات المبعوثين من اعيان واشراف البلاد وعمدها فاذا

استقروا هنا كثيراً يعطلون سير الاجراآت التي اخذت مجراها في بلادهم فالغرض من استدعائنا لهم تأليف مجلس لنتمكن من تقرير ما هو مفيد للامة ولنفيدهم عما هي عليه حكومة الاستانة الان من الاخلاص والشفقة نحو الامة ومتى عاد المبعوثون الى بلادهم فهم يخبرون الامة عن عزم الحكومة وحزمها في احقاق الحق وازهاق الباطل والمجاهدة في سبيل رفعها الى اوج العلاء طبقاً لما شاهدوا وسمعوا فبناءً على ما تقدم يبرح المبعوثون دار السعادة عائدين الى بلادهم ومنها ينتقلون من مكان الى مكان ومن قرية الى اخرى حيث يلقون على الشعب الخطب النافعة ويجتمعون باولياء الامور ومأموري المحاسبة ويبحثون معهم في كل ما يعود على الوطن بالسعادة وقد تشاور وتداول مبعوثو البلاد وطرقوا جميع الابواب فلا شك في انهم متى عادوا الى مواطنهم سيشتغلون باتفاق تام متضافرين متحدين حتى ان جميع ما يأتون به من استعدادات واقتراحات واجراآت سيرمون بها الى غرض واحد الا وهو سعادة العباد وخير البلاد ان شاء الله وهو السميع المجيب . »

فما كاد يصدر هذا المنشور عن المجالس الاعمارية الا وعزمت اللجان على اتخاذ التدابير اللازمة وتسوية الاعمال الضرورية

فالتحق مدحت بهذه اللجان واستلم اولاً وظيفة سكرتير في ولاية قونية وبعد ذلك في ولاية قسطموني

وفي هاتين الوظيفتين تمكن من الوقوف على اعمال الحكومة وادرك لزوم مراقبتها وخطأ السلطة الادارية والخطة التي تودي الى اصلاحها فكان لمدحت فائدة جمة من هذا التحقيق والدليل على ذلك العرائض التي كان يحررها ويقدمها الى الباب العالي

مدحت والوزير رشيد باشا

ملك مدحت القلوب وكسبت عرائضه شهرة عظيمة لما فيها من اصالة الرأي وسلاسة الانشاء ورقة المعاني حتى كان الوزير الشهير رشيد باشا معجباً بها غاية الاعجاب

الذين يقدرون ارباب اللياقة والكفاءة حق قدرهم ويشجعونهم في سبيل خدمة الوطن

فسعى رشيد باشا بتوظيف رجال اكفاء اهل غيرة ومن ذوي النزاهة والذكاء ليصبحوا ذات يوم ركناً متيناً وعضداً قوياً تستعين بهم الدولة وتستفيد منهم الامة

فاستدعى حينئذ المرحوم مدحت باشا وكلفه برئاسة قلم المضابط ولا يخفى على احد ما لهذه الوظيفة من المسئولية والاهمية وما تحتاج اليه من عناء وكد في ذلك الوقت الذي كانت فيه العرايض تتلو العرايض والتقارير تتلو التقارير واللوائح تتلو اللوائح طوراً من قبل اللجان الاعمارية وتارة من لدن ولاة الولايات ومرة من مجالس الادارة في الولايات واخرى من الاهالي فكان مدحت يقرأها ويدققها ويفرزها ويصححها ليعرضها على المراجع الايجابية للعمل بها ولتنفيذ معانيها

فعليه اكتسب مدحت ثقة الوزارة وتمرن على كيفية ادارة الاعمال الرسمية حيث كانت كافة تنظيمات وتنسيقات الولايات تدور على محور وظيفته وعلى دائرة المجلس الاعلى الذي

كان موظفاً فيه

ومن يقرأ البند الاتي من الارادة السنية التي صدرت بانشاء هذا المجلس الاعلى يدرك مبلغ اهميته ودرجة اختصاصاته

« بناء على احتياج شؤون الدولة العلية الحاضرة لرجال اكفاء في امور الاقتصاد السياسي قد قررنا زيادة اعضاء مجلس العدلية على قدر ما تمس اليه الحاجة وتقتضيه الظروف ونضيف اليهم بعض رجال الدولة من الوزراء والاعيان حتى يشتغلوا في ترتيب النظامات الضامنة والقوانين اللازمة لحياة البلاد »

هذا ولم يكن هذا المجلس الاعلى في الحقيقة الا كناية عن مجلس شورى القوانين ولو انه كان يقترح احيانا بعض الاقتراحات الا انه لم يكن قراره نافذاً بصورة قطعية قبل اكتساب ثقة الوزارة وتصديقها

ومع ذلك قام باعمال عظيمة حيث كان للقبه المجلس الاعلى وقع عظيم فى نفوس الاعيان والاهالي والامراء وذلك الوقع

هو الذي كان يساعده في سير اعماله وتنفيذ نظاماته

فبدأت الحالة حينئذ تتحسن واخذت الحكومة تنظر في اصلاحات شتى وادخلت تنظيمات عديدة واجرت تعديلات مهمة وقامت بمهمات فائقة حتى قلبت الادارة رأساً على عقب

ولكن بينما الاصلاحات جارية مجراها اذ ظهرت اسباب جديدة تعرقل سيرها واهمها الصداقة التي تمكنت بين موظفي الحكومة واعضاء المجلس فكان لكل موظف صديق في المجلس يدافع عنه وينفي الشكاوي والتقارير التي يقدمها ضده ولاة الامور في الولايات هذا ما كان علة العلل وسبب البلايا ومصدر الاخطار ومعطلاً مواصلة سير الاعمال ومساعداً التيار الاستبداد الهائل وكم من اوراق تركت في زوايا الاهمال

فيظهر مما تقدم ذكره مبلغ اهمية وظيفة السكرتير هذا ولا سيما ان تلك الوظيفة في يدي مدحت الذي جعل كل همه تأدية عمله بامانة واخلاص مبتعداً عن ذوي الاغراض وعن الاحزاب السياسية التي كانت في ذلك الحين لا تجر الا الشر والبلاء فاكتسب مدحت الثقة العمومية وذاع

ذكره بين الوطنيين والاجانب في كل مكان

فلعبت الغيرة بقلوب حساده وجعلوا ينازعونه وظيفته حتى استقال منها ولكن اعداءه لم يقفوا عند ذلك الحد بل اخذوا ينصبون له المكائد ليوقعوه في بلاء اشد وذلك بان ينتدب لمأمورية صعبه يتعذر عليه النجاح بها فيرجع بالفشل خائب الامل فاقد النفوذ وهكذا يدخل ذكره في خبر كان وتذهب امانيه ادراج الرياح

اما مدحت فكان يتمثل بقول المتنبي

ولا اظن بنات الدهر تتركني

حتى تسد عليها طرقها هممي

مدحت في الروم ايلي

لما كان قد زحف جيش الدولة العلية وحزم والتحق به جيش دولة انكلترا وانتظم للمحافظة على حقوق الدولة العلية وكرامتها في حرب شبه جزيرة القريم كانت دولتنا وقتئذ تقاوم العصابات

في بعض الولايات فانتشرت الاشقياء في ولايات تساليا وبيريا وبين حدود البوسنه والهرسك والبانيا وعلى ما يقال كانت هذه الثورة مدبرة من قبل روسيا الا انه مهما تنوعت الاسباب يجب اخمادها والضرب على ايدي الطاغين بلا اهمال

وقد كلفت حكومة الاستانة المرحوم فواد باشا لاخماد ثورة تساليا وعينت مدحت باشا لاطفاء ثورة الروم ايلي

سبقنا وذكرنا ان مقصد اعدائه من وراء هذه المأمورية كان ايقاعه في مأزق حرج ولكنه قبل القيام بهذه المهمة متكلا على ذي القدرة الصمدانية وقصد المواقع المستعرة نارا بهدوء وسكينة للنظر في مهامها وتدبير احوالها

فاقام اياماً يصلح ما فسد ويخمد من الشر ما وقد ويعدل جوانح امورها ويهذب مراتب مصالحها هذا وقد خلقت له الليالي تعباً على تعبه وعملا فوق عمله فان الجراكسة الذين كانوا هجروا مواطنهم على اثر تغلب الروس عليهم وانتشروا في جهة تركيا اوروبا على حدود بلغاريا وعن بعد مسافة قليلة من حدود الصرب والبانيا هبوا الى التمرد والعصيان

رغماً عن كونهم اكدوا للباب العالي اخلاصهم للدولة وقسموا يمين الطاعة حتى قبلهم بارتياح واكرام

فاستخدم مدحت حكمته واستعمل شوونا مختلفة واموراً متنوعة وكثيراً من الوسائط الفعالة حتى اوقفهم عند حدهم وثبتهم في وطنهم الجديد وجعل يمهد لهم الطرق التي تمكنهم في اعمالهم ثم اعد شراذم عسكريه تجول في الشوارع وتطوف في القرى ساهرة على النظام والراحة العمومية حتى قطع دابر الاشقياء في كل نقطة ومكان

وبينما كان مدحت يخمد ثورة الثائرين كان من جهة اخرى يهتم لشوون الغير الثائرين ويقدم لهم القوت ويعطيهم الالات الزراعية ويهبهم قطعاً من الاراضي ليتمرنوا فيها على الحراثة والزراعة وجعلهم تحت رعاية الباب العالي ووعدهم بالمكافآت وبتوسيع دائرة اعمالهم ونطاق زراعتهم ولو اقتضت الحال نفقات طائلة هذا والحمد لله وبفضله قد ساد الامن في تلك الجهات فنجح مدحت في هذه المهمة نجاحا باهراً ترك اعداءه في خجل وحساده في خيبة وخذل وضاقت دائرة نفوذهم

ووقعوا في الحيرة والارتباك

وقد استدعته حكومة الاستانة وشكرته واثنت على اعماله وانعمت عليه مكافأة له برتبة المتمايز واعادته الى وظيفته في المجلس الاعلى في الاستانة

مدحت والجيش المتحد

وضعت الحرب اوزارها بعد فوز الدولة العلية ومن المعلوم ان انكلترا وفرنسا وايطاليا انجدت الدولة بفرق من جنودها ولما كان قد دخل الاستانة جيش الدول المتحدة فوجب على الدولة انزاله في المنازل اللائقة وتسهيل وسائط النقل له واسعاف جرحاه ومداواة مرضاه فادت هذه الحال الى مشاكل ادارية عظيمة وامور جزائية خطيرة اضطر المجلس الاعلى ان ينظر فيها ويدققها ويحلها بالحكمة وحسن السياسة والدراية

فكان لمدحت معظم الفضل في ذلك الحل لما ابداه من

الحزم وسداد الراي وبذلك امكن تلافي مشاكل كادت تودي الى مسائل خارجية حرجة لولا لطف الله وعنايته

مدحت في بلغاريا

كان مدحت في الخمسة والثلاثين من عمره لما اظهر تلك الحنكة والدراية والكفاءة وبالرغم عن العقبات التي كانت تقوم في سبيله والموانع التي تحول دون جهده والمكايد التي تتراوح حول خطته قد نجح نجاحا زاهراً وتقدم تقدماً باهراً وفاز فوزاً عظيما فظهر فضله ظهور نار القرى ليلا على علم ومهما كانت مهمته عظيمة فلم تكن فوق دائرة ذكائه وعلو افكاره فقد جرى على اثر الاضطرابات التي حدثت في اقاليم تساليا وبيريا والروملي ان العدوى سرت الى جهة بلغاريا فانتشرت الثورة في ربوعها وهاجر التتر اليها من شبه جزيرة القريم فاخذوا يحتشدون بازاء الحدود ومنها يثبون كالاسود الجياع ويهجمون هجوم الحيوانات الضارية

فقصد مدحت تلك الاماكن حيث أفاح زعماء العصابات في حمل الاهلين على حمل السلاح فقاتلهم قتالا شديدا وتركهم بحد الحديد بديداً فعادوا مهزومين وتوالت عليهم البلايا وفاز بالنصر رغما عن اعدائه والنصر بيد الله يوليه من يشاء

ثم ظهر له ان مصدر الفوضى من جهة الصرب فاسرع الى حدودها وحدود البلغار واقام الاستحكامات على مواقع عديدة ووزع عليها انفاراً من الجنود لحماية الحدود

وبعد ان القى مدحت نظره على زعماء العصابات فاخذهم تحت الاستنطاق وصار يسالهم بحكمة واصول حتى عرف المجهول واعترفوا بانهم مدبرو ثورة هائلة فاحالهم لمحكمة الجنايات للنظر في مهامهم وترتيب جزاهم

ثم اطلق سراح غيرهم بعد ان اخذ عليهم المواثيق ان يحافظوا على الامن في الجهات التي يقطنونها وعدهم مسئولين عن كل عبث بالنظام فهكذا فاز مدحت فوزا تاماً وشكر المولى

مدحت في اوربا

عاد مدحت من بلغاريا وطلب اجازة من الحكومة بقصد السفر ونالها و برح الاستانة قاصداً عواصم البلادالاجنبية فزار اولاً باريس ثم لوندرة و بعدها فيينا ولم يكن قصده من هذه السياحة ترويح النظر وانشراح الصدر وتبديل الهواء بل كان قصده منها التجول كاداري حازم وسياسي خبير فاطلع على كل شيء ولاحظه بامعان وراقبه وشابهه وقارنه ليدرك منافعه ومضاره فخاض كافة الامور ودرس حالة النقابات الاجنبية و كيفية حركتها وسيرها وادارتها واقتصادها ليجتهد في ادخال ما رآه منها من النافع والمفيد وما يخدم لحياة بلاده ورفاهيتها حتى انه كتب مذكرات بجميع ما بهر افكاره و كسب ثقته وجلب انظاره فآب الى دار السعادة يحمل الفوائد الجمة ومعه الفنون والعلوم ومحصول وافر من الاشياء والامور النافعة

فلا شك في انه اعاد الوقت الذي اضاعه في البلاد الاجنبية بين تحقيق وتفتيش وتمرين وتدقيق على الوطن المحبوب بالعز والاقبال وعلى الهيئة الاجتماعية بالخير والسعادة

فقد انارت المدنية الغربية افكاره وادركته ما هو ناقص ليسده وما هو لازم ليعمله وما هو غير كافٍ ليحسنه ويكمله وينظمه ومن اتبع سيره في مضمار جهاده وعرف قوته العقلية يدرك بسهولة انه اذا اتسع له المجال ومكنته الظروف يثمر جهاده ثمراً حسناً هذا والحمد لله قد اشرقت شموس هذا اليوم المطلوب الذي فيه تم تعيين مدحت الى ولاية نيش ونواحيها اسكوب وبريسترند وذلك في سنة ١٨٦٠

مدحت في ولاية نيش

كانت ولاية نيش خالية من الخطوط الحديدية والنقابات الزراعية والمواصلات التجارية وعرة المسالك صعبة الطرق وقد احتكر فيها النزلاء الاجانب انواع التجارة احتكاراً عاد على

الوطنيين بالخسارة والشقاء فكانت الصنايع النفيسة في درجة النزاع والمزاحمة التجارية قاضية على العموم

فاين المتمولون واين الاموال الطائلة لرفع هذه البلاد واعادة مجدها وتخلصها من تيار الازمة المالية ما من عرفها الا ونادى عليها السلام

مع هذا فما على مدحت بعزيز فادرك الداء واسرع باعطاء الدواء الناجع فقال في نفسه لا بد من اصلاح داخلية البلاد مبدائياً حتى تدور الحركة ودولاب الاعمال ومن تعديل نظاماتها وارساخها في العقول لكي لا تطرح في زوايا الاهمال وتذهب كصرخة في الهواء

فعليه تذكر الخط الهمايوني المتعلق بالاصلاحات الداخلية الذي صاغته الحكومة لهذا الغرض وعزم على ان يخرجه من حيز الكتابة الى حيز العمل فجدد درسه وفحصه وزاد عليه ما رآه مفيداً ولازماً ثم عمد الى تنفيذه بهمة فائقة فجعل الوطنيين متساوين في الحقوق واشرك جميع العناصر في مجالس الادارة في الولايات وفرق الوظائف الادارية

كل ادارة لوحدها تقوم بوظيفتها ونظم مجالس البلدية وخاص التحصيلات من نير الظلم والاغتيال واعد لدائرة الاجراء والتحصيل قوانين صارمة وضرب على ايدي الذين مدوا ايديهم الى الاموال الميرية وتعدوا على حقوق الرعية ما كان حملا لا يطاق لدى الاهالي وظلماً لا يستحمل عند المزارعين الذين يسقون اراضيهم من عرق جبينهم ثم ينظرون الى محصولاتهم فيرونها بين ايدي المستبدين ظالماً بغير حق ولا مستحق ما كان موديا بهم الى الخراب والدمار

بفضل مساعيه واجراآته المتمادية اوقف المستبدين وادبهم وكان حمى المغدورين وحمية المظلومين حتى اصبحت البلاد على ما يرام وكسبت العباد روحاً جديدة ودخلت في الحضارة والعمران

فعندها انتقل مدحت من الاهم الى المهم ومن الالزم الى اللازم فقوى الامال وحقق في انجاد المواعد وانجاح المقاصد واستمال اليه العواطف فكال الفوز اعماله كما تشتهيه اماله مرتكنا على نفسه لا على غيره قائلا

وانما رجل الدنيـا وواحدها

من لا يعول في الدنيا على احد

ثم عطف نظرة اخرى الى معشر التجار وسن لهم قوانين عادلة وعطف غيرها الى دائرة الجندرمة والضبطية ونظمها ونظم جميع ما تحتاج اليه البلاد في هيئة لم تكن في الحسبان

فضرب صفحاً عما يعرقل اعماله وغض طرفا عما يعيق اصلاحه من القوانين والنظامات التي كانت مخالفة لمباديه السامية واغراضه الشريفة وعرف ان كل ما ينظمه كان ضروريا للصالح العمومي والضرورة لها احكام فبذلك اصبحت حكومتنا والامة ممنونين خدمتهِ خدمة تستحق الثناء العاطر والشكر الوافر والمجد الفاخر والمدح الزاهر فقامت حكومة الاستانة تفتخر بافعاله وتشكر اعماله وعزمت على ادخال تنظيماته في سائر الولايات

كيف استقبله السلطان

فاستدعاه جلالة السلطان فعاد الى الاستانة مسرورا مجبورا فتلقاه بالاحترام والاكرام واحتفل بوصوله واستقبله شاكرا له شكرا جزيلا وخاطبه بقوله انه معجب بالاصلاح الذي تم بهمته ونشاطه وانه معتمد عليه في تحقيق امانيه وادخال الاصلاح في سائر الولايات وكلفه بسن القوانين اللازمة بمساعدة فواد باشا وعلي باشا

فقبل مدحت الارادة السلطانية بسرور وعزم على انجازها بحبور لما فيه من مكافاة معنوية ومساعي ادبية حيث اقام له الله هذه الفرصة الثمينة ليخوض بحر اماله و يفسح لعقله عنانه ومجاله حتى يأتي باجراآت توازي علو همته وسمو افكاره

مدحت باشا وفوءاد باشا

وعلي باشا

فباشر مدحت ورفقاوءه فواد باشا وعلي باشا بما كلفهم جلالة السلطان فدارت بينهم المناقشات واخذت تشتد المداولات وتجري كالسيل المجادلات فكان مدحت حينئذ روح المباحثات وابا المعارضات مرتكنا على التجارب لا على النظريات وما كان له من خبرة واعمال فكانت دوماً من طرفه الارجحيات مع كون فوءاد باشا وعلي باشا من فطاحل الساسة العظام بين رجال الدولة فكان اسمى منهما مقاماً وارفع شأناً واكثر تجرباً فطوراً يأمر عليهما واخرى يقاوم افكارهما وتارة يشد ازرهما بنية سليمة حتى ادخلهما في مسلكه واضاعهما في بحر افكاره وغرقهما في امواج سياسته لانه كان بحراً زاخراً

وما عدا الفنون والشؤون التي نقلها عن الدول الاجنبية في اثناء سياحاته تمرن ايضاً في امور دولته وداخليتها وادرك حوايجها الضرورية واحوالها الطبيعية وعرف صادراتها وارداتها حتى انه اذا اقترح مشروعا كان مفيدا وشرع في امر كان صالحا ومطابقا على عوائد واخلاق ولزوم وضرورة اهل البلاد

هذا والحمد لله وبفضله قد تم قانون الولايات هذا القانون الذي يخدم الدولة لغاية الان بل الى الابد ونظاماته النافعة اذا اردنا نوفيها حقها مما لها من الفوائد التي لا تعد ولا تحصى لم يسعنا المقام ولا يكفينا الكلام هذا هو القانون الذي قمع جحافل الشر ونزع السلطة الاستبدادية من ايدي الظالمين ونظم دوائر العدلية ورتب اقلام الملكية وادخل العناصر كافة في الانتخابات البلدية وفي المجالس الادارية وصاغ القوانين التجارية وفرق المجالس الحقوقية من المجالس الجزائية وانشأ المحاكم الشرعية في كافة الولايات

فلما انتهى ترتيب هذه النظامات بقي على ولاة الامور الاجراء بموجبها والعمل بمقتضاها فاستقر رأي الحكومة على ادخالها مباشرة في ولايات الدانوب وفي نيش وويدين

مدحت في ولاية نيش

عهد السلطان الى مدحت بقضاء هذه المهمة فقصد الاماكن المذكورة لاجراء التنظيمات المطلوبة والاصلاحات المرغوبة فما لبث فيها بضعة ايام حتى ادرك ان حالتها الحاضرة شبيهة بما كانت عليه حالتها الغابرة

فكان الهياج سائداً والتمرد فاشيا والبلاد في غليان والقوم في هيجان بسبب طيش الطائشين وجهل الجاهلين وتحريض المحرضين على الثورة التي كانت على قاب قوسين او ادنى

فاول ما اهتم به مدحت دوائر الملكية والعدلية في مراكز الولايات فاصلحها ونظر في شؤونها ورتب امورها واجرى اعمالها على محور الضبط والنظام ثم انتقل الى المتصرفيات

والقائمقاميات والمديريات حسب التنظيم الاداري الذي يجزى. الولاية الى ثلاثة اقسام وهي متصرفية وقائمقامية ومديرية فعين فيها بقدر الامكان رجالا من ارباب اللياقة واصحاب الكفاءة نقول بقدر الامكان حيث انه في سنة ١٨٦٤ تفرق اولئك الذين جمعوا الخبرة والفضيلة في اطراف الدولة . هذا من جهة ومن جهة اخرى ضرب مدحت على ايدي المستبدين وسد سبيل المعارضين ولولا ذلك ولطف الله وعنايته لافسدوا ما صلح وعكسوا ما نظم وهذا ما كان ظاهراً ظهور الكواكب في عالم الاجواء ثم انتقل من تنظيم الى غيره ومن اصلاح الى سواه حتى انه في خلال اربعة اعوام بدل احوال هذه الولايات تبديلا يذكر ويشكر

ومما يهم ذكره هو انه اهتم ايضاً بتنظيم الشوارع فنظم فيها ثلاثة الاف كيلومتر واقام الفاً واربعماية جسر واسس ثلاث مدارس كبرى للصنائع والفنون الجميلة وانشأ المستشفيات فترقت البلاد وعلا قدرها وعظم شأنها وزاد ايرادها وبلغت تحصيلاتها الميريه شاواً عظيما من التقدم وكانت الحكومة

تقدرها في السنين الغابرة بمبلغ مليون وخمسماية الف ليرة عثمانية فزادت حتى بلغت مليونا وتسعماية الف ليرة ويحق لنا في هذا المقام ان نذكر شهادة الكاتب النمساوي الموسيو (*Kannitz*) كانيتز فقد قال

« زرت ولايات الدانوب مرة وعدت اليها مرة اخرى حين كانت تحت ادارة الوالي الخطير مدحت باشا فدهشت مما رأيته فيها من تغييرات واصلاحات حولتها من اسوء حال الى احسن الحالات ثم اثنى ذلك الكاتب على همة موظفيها ومدح اعمالهم

فبذلك مثل مدحت امام محبي الاصلاح المتنورين دوراً مدهشاً ومن جملة ما عمله ايضاً انه عين مفتشين مقتدرين للمكاتب الابتدائية والاعدادية واستخدم مهندسين من الاجانب لاصلاح الري واحيا الزراعة وعمد بعد ذلك الى انشاء الثكنات العسكرية ومد الخطوط الحديدية والاسلاك التلغرافية وتأسيس النقابات الزراعية والشركات العقارية وادخل كافة الشوارع المهمة في دور التنظيم حتى اصبحت

البلاد عامرة زاهرة زاهية تعادل البلاد الاجنبية وفي ذلك قال الكاتب كانتز ايضاً ما معناه

عرفت قدر مدحت من مشاهدتي لنتيجة اجراآته لا مما سمعت عنه فقط فلا شك في انه اداري حازم وحاكم عادل ولو حكم في ولايات الدانوب مدة طويلة لاصبحت قدوة يقتدي بها العالم باسره وانموذجاً تتخذه الدولة لاصلاح سائر ولاياتها واعظم شاهد على ما تقدم مدينة روستوك التي غدت بفضل مدحت عروسة البلاد وباتت تعد في مصاف المدن الراقية

هذا ما قاله ذلك الكاتب النمساوي الشهير

ومن اعمال مدحت انه انشأ رصيفاً جميلا على شاطيء الدانوب وبنى عليه بنايات شاهقة ومتنزهات عمومية رائقة حتى اصبحت كل الاماكن صحية جالبة للرفاهيه هذا وبالوقت نفسه كان مشجعاً لافراد الامة في تحقيق اٰمالهم ومساعداً لمبتكراتهم العلمية والفنية والصناعية وفي مدة وجيزة اخرجهم

من دائرة الجهل ودربهم في طريق الكمال فشكروه وحمدوا المولى

مدحت واصدقاؤه

ابتعد مدحت عن التقاليد العقيمة والنظامات القديمة التي لاتنطبق على احوال الزمان والمكان بالعكس عما كان يعمله سائر الولاة الذين لم يقوموا بمشروع مفيد وكانوا اذا ارادوا عملا طلبوا اذناً رسمياً ثم باتوا ينتظرونه بفروغ صبر اياماً عديدة وسنين مديدة بلا فائدة سوى رفض المشروع والفشل وخيبة الامل

وكان مدحت خاضعاً في الحقيقة لقوانين الدولة الا انه كان يراعي فيها الظروف وينظر الى الاحوال وعند الاقتضاء يعدل فيها كيفما شاء وايان اراد ليأتي بالغرض المطلوب طبقاً للمباديء الدستورية ومن حين الى آخر يرفع بذلك تقارير مهمة الى المراجع العليا في الاستانة ويسندها بادلة منطقية

كافية لتصديقها حتى يعمل بموجبها لدى الاقتضاء في الولايات

فلامه فريق من اصدقائه على هذه الخطة خوفاً عليه من الدسائس ونصحوه بان يعدل عنها ولكنه لم يكن يقتنع باقوالهم و يعمل بملاحظاتهم ولم يكن شيء يحول دون ارادته حيث كانت قواه العقلية فوق دائرة الارهاب والتخويف اذ لا فائدة شخصية بما يعزم عليه بل يقصد فيه الفائدة العمومية الاجتماعية وقد قال لاحد اصدقائه بسلامة نية وحسن طوية

« وما الذي اجره على نفسي من وراء هذه السياسة العادلة الحرة فان كان النفي فاني لا ارهبه وخمسماية قرش في الشهر من قبل الحكومة تكفي لوازمي الضرورية في بلاد الغربة ديار المنفى واني غني عنها ايضا بفضل يراعي هذا فهو كفوء لان يكسبني ما تحتاج اليه معيشتي »

فانظروا ما تحت هذا القول من الشجاعة

مدحت واميل دي جيراردان

لقد فتح نجاح مدحت في ولايات الدانوب باب الرد على الذين كانوا يبغضون الدولة العلية ولا يعتقدون بميلها واستعدادها للاصلاح وكانوا يطعنون فيها سرًا وعلنًا فاثبت لهم مدحت قولا وفعلا بعدهم عن الصواب واظهر سياستهم الخرقاء وقال لهم ما يأتي

من وهبه الله ذكاء فطريًا مع الشجاعة وشدة الحزم اذا حفر خطًا وزرع فيه بذرة فلا شك في انها تثمر ثمرًا حسنًا

وهل للامم ميل واستعداد طبيعي وحزم وذكاء اكثر مما لنا ؟

حاشا وكلا وكفى بدولة فرنسا مثالا فكم من مصاعب واخطار مرت على ابوابها حين دخلت في الحضارة والعمران وهكذا في سائر الدول فكم من معارضة ومقاومة قامت في سبيل اقل اصلاح مهما كان ضروريًا ومفيدًا للهيئة الاجتماعية فلم يتم

ذلك الاصلاح الا اذا صادفته قوة كافية لتعضيده واجرائه وفي هذا الصدد قال الكاتب اميل دي جيراردان الشهير في مدح العناصر العثمانية ما معناه

« ان لم يكن للدولة العثمانية حياة الا بالاستبداد فلا حياة لها واني اول من ينادي السلام عليها الا اني لآمل ورأيي في غاية الاصالة والصواب انه بمساعي رجالها الغيورين ستصبح هذه الدولة بعيدة عن الساسة الذين لا يعرفون سوى الحسد والغيرة والكبرياء والتبجيل والتكريم والتعظيم اولئك الذين هم في الحقيقة اعداؤها يضرها فريق منهم من قبل السياسة وفريق من قبل الاغراض الذاتية وسيأتي يوم تكون بعيدة عنهم وتتخلص من محاربة تلك الدول التي ما زالت من حين الى آخر تتداخل في شؤون الدولة الداخلية واخصها النمسا وفرنسا وانكلترا وروسيا

في ذلك اليوم ستنهض هذه الدولة التى يمثلونها بشبح لا حياة له نهضتها الاخيرة لاتمام عملها بخطوة ثابتة اكيدة فتفعل ما لم تستطعه الاوائل والاواخر وتمشي بسرعة عظيمة

الى الامام في مضمار التقدم والفلاح وتبهر عقول الدول باسرها من قاصيها لدانيها »

هـذا ما قاله الكاتب اميل دي جيراردان على اثر شهرة اعمال مدحت باشا التي رنّ صداها في المشرق والمغرب

فضرب ايضاً فوءاد باشا على اوتار اميل دي جيراردان بكل افتخار في مذكرته التي قدمها الى سفير انكلترا في ٦ مارس سنة ١٨٦٧ قائلا :

قامت دولتنا العلية اخيراً باعمال تذكر بافتخار باهر وتشكر بثناء عاطر وهي التي انبأ عنها الكاتب اميل دي جيراردان فاظهرت دولتنا العلية الان انها اذا تمتعت بحريتها التامة وتخلصت من شر المكايد الداخلية والخارجية واخذت ترتب امورها وتدبر شوءونها بحكمتها تسير في الترقي والعمران بسرعة لم تكن في الحسبان وتدهش العالم بامره

مدحت والدستور العثماني

لما كان مدحت في ابان تنظيماته واجراآته كانت تجري حينئذٍ في الاستانة حوادث خطيرة الشأن تتعلق بالشؤون الاصلاحية والامور العمرانية والنهضة الادبية التي كان يتراءى منها لذوي الالباب ان الدستور على الابواب

مع هذا كان يجري في الاستانة ما جرى في سائر عواصم الدول وما حدث في بلاد كل سلطنة حين انتقالها من هيئة سياسية ادارية الى هيئة سياسية ادارية اخرى من تصادم سلطة بسلطة وتضارب نفوذ الهيئة الاصلاحية ونفور المحافظين على القديم وقيام هولاء عقبة كؤوداً في سبيل الاصلاح حتى تضطر السلطة الاصلاحية ان تضرب ضربة قاضية في وسط الدسائس السياسية وترفع علم العدل ولواء المساواة والاخاء

تقرب من السلطان جماعة من رجال الدولة ونصبوا

المكائد انتقاماً من المخلصين للدولة ومحبي العدالة وذوي الكفاءة والاقدام التام مثل فوءاد باشا الذي كان وقتئذٍ وزيراً للخارجية وركناً عظيماً للدولة تستعين به لدى الحاجة في المسائل الخطيرة والامور الخارجية ·

فاقنعوا السلطان ان فوءاد باشا احتكر امتيازات كثيرة لنفسه بقصد الاعتداء على السلطة الشاهانية فاشتد غضب السلطان عبد العزيز من جهة واخذت صحف المعارضين من جهة اخرى تنتقد اعمال فوءاد باشا وتنسب جميع ما كان فاسداً لعدم كفاءته وتنشر فصولا تحمل فيها عليه اشد حملة مدعية انه غير كفوء لادارة شوءون الدولة الخارجية وزاد الطين بلة تغير السياسة الانكليزية نحو الدولة العلية وذلك على اثر وفاة اللورد بالمرستون (*Palmerston*)

لما كانت دولة انكلترا في عهد وزارة اللورد الموما اليه مدت الى الدولة يد الصداقة والولاء وساعدتها مرة بنفوذها واخرى بارائها فبعد وفاة اللورد المذكور دخلت انكلترا في دور سياسي جديد· هذا ما اضاع آمال فوءاد باشا وخيب

ظنونه فسقط من الوزارة في ٤ يوليو سنة ١٨٦٦

كان ذلك درساً استفاد منه مدحت باشا وعلمته التجارب والحوادث انه لا بد من الاتحاد والاتفاق ولا تقوم للدولة قائمة الا بذلك وبتأسيس مجالس شوروية وسن نظامات عادلة تضمن لها مركزاً سياسياً سامياً يليق بكرامتها في مصاف الدول الاجنبية الراقية لا كمثل المجالس التي كانت لا عمل لها سوى ان ترضى هذه او تلك من الوزارات الاجنبية فعليه يجب على الحكومة ان تسعى بتأليف مجالس مطابقة لاستعداد الاهالي وميلهم لتدوم وتكسب ثقة الامة وتؤدي بها الى الامل المرغوب وهو ان تحكم نفسها بنفسها

فقال مدحت في هذا الصدد ما يأتى

« ما كان يهمنا في الماضى سوى ان نرضي الاجانب في بلادنا لتظل تركيا في قارة اوروبا ولكن ما نحن فيه اليوم وما نرومه مغاير لهذا المبدأ الساقط ومخالف لما تمنيناه بالامس فتقدمنا الحالي هو ثمرة جهادنا الغابر وما ساقته الينا ارادتنا الطبيعية وحميتنا الوطنية وغيرتنا القوية وانارته لنا افكارنا بفضل سعينا

واجتهادنا في سبيل خدمة بلادنا وترقيها

هذا ما قاله مدحت برأي اصيل وحق مبين ومن يستند الى اقوال وهمية ويظن ان الاتراك وسائر العناصر العثمانية غير اهل للحكم النيابي فهو في ظلام حالك وجهل فاضح واول من ينقض ظنونه ويبدد اوهامه اقوال اميل دي جيراردان الذي خبر الاتراك ومدح صفاتهم بالنظر الى سمو افكارهم واباء نفوسهم وشهامتهم وكان يستشهد ادباء العصر الذين بحثوا ودققوا ثم ذكروا بكل اعجاب صفاتهم النبيلة ومزاياهم الجليلة وهاك صحيفة جميلة من اقوال لامارتين (*Lamartine*) اعرب فيها عن افكاره وارائهِ في الامة العثمانية وقال في الاتراك

ان العنصر الذي يستحق الثناء والشكر بين الشرقيين هو العنصر التركي فاخلاقه راقية وافعاله سامية وفضائله الدينية والمدنية عالية مما يوجب الاعجاب والاطراء

هذا ولا سيما ان عظمتهم منقوشة على جبينهم وشهامتهم مرسومة على وجوههم ولو كان لهم قوانين عادلة وحكومة منتظمة راقية لاصبحوا في اسمى درجة من المدنية حيث انهم

ارباب علم وحزم واهل شجاعة وعزم وذوو غيرة وطنية عظيمة وحمية قومية شديدة فعلى رأيي ان قوماً هذه مزاياهم وسجاياهم وعنصراً متحلياً بهذه الصفات لهو عنصر من العناصر التي تزيد الانسانية فخراً وشرفاً

هذا ما قاله لامارتين في مدح الاتراك

مدحت يطالب بمجالس عادلة

كان الرأي العام ان السلطان حاكم مطلق وسلطته غير محدودة يأمر بما يشاء ويفعل ما يشاء الا ان هذا ما كان الا نظرياً حيث في بادىء الامر عادل مجلس العلماء سلطته وجاء بعد ذلك الخط الهمايوني وقام على اثره المجلس الاعلى وبعده مجلس شورى الدولة ومجموع هذه المجالس ما يقال له الباب العالي

وقد قام رجال الباب العالي المتنورون المقتدرون باعمال انارت السلطنة العثمانية واراحت السلطان من عناء السياسة الداخلية والخارجية فكانوا له ركناً متيناً واخذوا على عاتقهم

جملة امور كادت تقلقه ليلاً ونهاراً لذلك غض الطرف عما يجرونه مما هو مغاير لمبدأ سلطتهِ الشخصية الا انه غضب عليهم احياناً واخذته الحميــة على سلطته غالباً وخاف على مركزه مراراً وذلك في الوقت الذي فيــه اشتغل محبو الاستبداد واوقدوا نار المكائد بقصد ان يصبح نفوذ رجال الاصلاح تحت اقدام اولئك الذين اضاعوا كل قوة فعالة نافعة واغرقوا كل روح صالحة في الوعيد والتهديد حتى ادخلوا الدولة في ازمة ادارية سقطت فيها المبادىء الاصلاحية ورجعت الدولة في المدنية الى الوراء والعياذ بالله

هذا ما اقلق افكار مدحت كثيراً واحرمه لذة الوسن فاخذ يفكر في هذه الحالة المشؤومة وفي الذين يشتغلون سراً وجهراً لابقاء القديم على قدمه بمحاربة افكار الرجال الغيورين المصلحين فادرك في الحال ان دواء هذا الداء العضال هو ان يعين لموظفي الحكومه حدود سلطتهم و كيفية الاعمال المطلوبة منهم حتى تتمكن الحكومة من القيام بوظيفتها والاشتغال في دائرة اعمالها وتنظر بهدوء وامعان في الشوون المهمة عند ظهورها

في العالم السياسي هذا ولم يكن تحقيق هذه الآمـال ممكناً الا اذا تألف مجلس نيابي في الدولة ولكن ما كاد مدحت ينطق بهذه الجملة والا وقامت ضده مكائـد سرية ومظاهرات علنيـة

اما مدحت واصدقاوءه فقد قابلوا ذلك برباطة جأش وثبات عزم وهناك كانت المشكلة السياسية المهمة واعتراضات المتقهقرين القوية التي نهض فيها حزب تركيا القديمة قائلا ان قوانين السلطان سليمان القانوني لا يعدلها معدل ولا ينقحها منقح ولا يصلحها مصلح فيجب ان تظل على ما هي عليه الى ما شاء الله . ورغماً عن كون الحزب القديم كان يرى جعل السلاطين في اعلى المراتب من اسمى الواجبات فكان يرى ايضاً انه يجب ان لا يكونوا بعيدين عن المراقبة في ادارتهم وتصرفاتهم . وكان قانون السلطان سليمان القانوني يسوغ للعلماء والوزراء البحث والانتقاد في ما يختص بالادارة السنية وعلى الامة ان تكتفي بملاحظاتهم

هذا ما بني عليه القيل والقال فكانت وقتئذ مداخلة

العلماء والوزراء في زمان السلطان سليمان القانوني شبيهة بمداخلة نواب الامة في البلاد الاجنبية ولكن الاحرار المتنورين من تركيا الفتاة الذين جاهدوا في سبيل الرقى والحضارة وساعدوا مدحت في اعماله النافعة وساروا في ظل افكاره الراقية سعوا كثيرًا في اقناع الاخرين بان تداخل العلماء والوزراء لا يفي بالمرغوب ولا يأتي بالمطلوب وانه لا بد من انشاء مجلس نيابي اسوة بسائر الدول الدستورية العادلة المتمدنة وان المدنية مقلدة كانت او غير مقلدة لها من الفوائد الجمة ما لا يعد ولا يحصى ما دامت على اساس العدل والمساواة

وفي سنة ١٨٦٧ نشر القائد الحر والبطل المقدام خير الدين بك مقاله تحت عنوان الاصلاحات الضرورية في الدولة العلية العثمانية وهاك نصها .

ما بدأت الدول الاجنبية ترتفع الى اوج العلاء والكمال الحقيقي بفضل مجالسها النيابية حتى تدرجت الى اسمى درجة في المدنية وكانت هيئتها الاجتماعية عند نهضتها اقل علماً وعرفاناً وتقدماً مادياً وادبياً مما نحن عليه الان ولا مشاحة

في اننا في الحالة الراهنة اقل علما وعرفانا من سائر الامم الا ان
كل حر منصف مدقق وباحث محقق وخبير بالوقائع التاريخيه
يقر ويعترف ان الامة العثمانية بفضل علو افكارها
وذكائها وما عندها من اثار مجدها القديم وتمدنها الغابر تستطيع
ان تنهض وتمشي الى الامام بسرعة عظيمة متى انشأ فيها مجلس
نيابي يدير شوونها السياسية وامورها الادارية والاقتصادية وفي
ذلك اليوم يكون الانقلاب عجيباً يدهش كافة الامم
المتمدنة صاحبة الفضائل والمحاسن التي ما هي الا نتيجة
اعمال مجالسها النيابية الحرة

ومن واجبات الحاكم المكلف بتأسيس المجالس المار
ذكرها وترتيب قوانينها مراعاة الظروف والبحث في درجة
علوم ومعارف ومدنية وحضارة شعبه ليعين له حدود حريته
السياسية التي تليق بمقامه وان ينظر فيما اذا كان موافقاً
تعميمها في كافة انحاء السلطنة على جميع الرعايا بدون
استثناء وان يسهل للاهالي سبيل القيام بواجباتهم نحو الحكومة
وللحكومة القيام بواجباتها المقدسة نحو الامة وذلك بنشر

العلوم وتعميم المعارف وحفظ الامن العام

هذا ما صرح به خير الدين بك ومن يتأمل في هـذه العبارات يجد فيها خلاصة قواعد الحياة الشريفة والمدنيـة الحقيقيـة

مدحت ومجلس شورى الدولة

ما مضت مدة من الزمان حتى اتاح الله للعثمانيين الاحرار الفرصة المنتظرة والقاعدة التمهيدية للمجالس النيابية وذلك بتأليف مجلس شورى الدولة في سنة ١٨٦٦

استدعى السلطان مدحت باشا الى الاستانة العلية وكلفه بهذه المهمه الشريفة عاهداً اليه ترتيب مجلس شورى الدولة وتنظيمه فاخذ مدحت ينظمه على نسق مجلس الشورى في فرنسا وجعله على ثلاثة اقسام الاداري والحقوقي والجزائي

كان يرأس مجلس شورى الدوله وزير من الوزراء ويتلوه سكرتير وثلاثـة عشر عضواً ما عدا ستـة عشر

مستشاراً من ضمنهم ثلاثه نواب عن العناصر الغير الاسلاميه

ترأس مدحت مجلس شورى الدوله بشجاعة واقدام تام فنال الثقه العامه وفي مدة قليلة اصبح لهذا المجلس نفوذ يزيد على نفوذ المعارضين فانشأ المجالس الحقوقيه والجزائيه والتجاريه وسن قوانين للمعارف وغيرها للاحراج والغابات ونقى دوائر الاجراء والتحصيلات من التلاعب واسس بنوكة زراعيه في مراكز الولايات وبذلك قطع دابر المستبدين وقمع سلطة المتمولين القاضيه على الفلاح

وقد دارت المناقشات في مجلس شورى الدولة بهدو مما يسر الخاطر ويدهش الناظر رغماً عن اجتماع ابناء العناصر المختلفه لاول مرة فكانت القلوب متحدة والراحه سائدة وجرت المداولات الحادة في اسمى درجه من الحريه والسكينه

مدحت في ثورة بلغاريا

لقد افلح ذوو المآرب الذاتية في اهاجة البلغاريين فبدأت الحرب تضطرم والنار تشتعل وانتشرت الثورة في ربوع بلغاريا انتشاراً شديداً

فقصد مدحت تلك الاماكن وضرب الثائرين ضربة قوية وتركهم بحد السيوف اشلاء قرى الوحوش وقبض على زعمائهم واحال كثيرين منهم على محكمة الجنايات ونفى منهم عدداً كبيراً وأدب الاخرين حتى اخمد الثورة واطفاها في زمن قصير و برح بلغاريا راجعاً الى دار السعادة ليقبض على زمام رئاسة شورى الدولة

استقالة مدحت من شورى الدولة

بث مدحت في مجلس شورى الدولة جوهر الاصلاح وروح النجاح وحث الامة على الفلاح وهي حال كادت تؤدي بالمجلس الى تحويله لهيئة نيابية فاخذ يهيئه ويكسبه الاستعدادات اللازمة لتبديله من هيئة الى هيئة اكمل واوفى بالغرض الا وهي الهيئة النيابية التامة . زرع مدحت هذه البذرة ولكنها كانت معرضة لاكبر الافات واعظم العقبات قبل ان تنمو وتثمر

نال شورى الدولة في بادىء الامر اهمية لا تنكر وثقة لا توصف هذا ما جلب على مدحت حسد الحساد وغيرة الاعداء ونميمة المعارضين حتى استاء استياء عظيما وعزم على الاستقالة مفضلا ان يكون واليا لبغداد

فيدرك القارىء من تلقاء نفسه حالة شورى الدولة بعد ذهاب مدحت الى بغداد فقد دخل في حياة جديدة هي حياة

المماطلة والمطاولة فما عاد يقوم له قائمة الا اذا ردت له الظروف واسترجعت له الايام رئاسة مدحت بما فيها من الثبات والاقتدار

مدحت في ولاية بغداد

اظهر مدحت في ولاية بغداد ما اظهره في سواها من الغيرة الوطنية والجهاد العظيم في سبيل خدمة الوطن وتدرجها في مدارج النجاح والارتقاء · فشد فيها ازر الزارع وانقذه من نير الظلم والعدوان

ثم اسس في مركز الولاية مدرسة صناعية وانشأ سفنا تجارية تسير في نهري دجلة والفرات وفتح الطرق لسير العربات بين قزاميته وبغداد تسهيلا للمواصلات حتى اصبحت شبه جزيرة العرب كسائر البلاد في المدنية والحضارة بعد ما كانت خالية خاوية عارية عن كل اصلاح

كان روءساء العشائر وزعماء القبائل يظنون انفسهم في

حرية تامة واستقلال اداري لا تعارضه سلطة ولا تقاومه حكومة فساق مدحت عليهم قوة كافية وردهم الى الصراط المستقيم ونظم ادارة البلاد وجعلهم يخضعون للدولة في كل آن وزمان والاولى بالذكر عشيرة المتفق فردها الى الطاعة وهي اعظم عشيرة فاخذها مرة بالسيف واخرى بحسن السياسة على حد قول الشاعر

القاتلين عدوهم في حصنه

بالرأي والتدبير قبل قتاله

وفي سنة ١٨٧٥ ذهب زعيم تلك القبيلة الى الاستانة فقابله السلطان بحفاوة واكرام وبعد ما ادى الواجبات انعم عليه السلطان برتبة الباشاوية

حارب مدحت في ولاية بغداد وضواحيها مرة محاربة فعلية واخرى معنوية ضرب فيها نفوذ الارتجاعيين الذين كانوا يضربون على اوتار سلطتهم متمسكين بحبال العقائد القديمة ترويجاً لسياستهم وهذه الحكاية تنبيء عما كان عليه مدحت من الفطنة والحزم والدراية

في سنة ١٨٧١ حالت اهالي بغداد دون تنفيذ نظامات الدولة وفتحت ابواب القول والرد امام رعاع الامة وكان من زعماء هذه الحركة اعضاء مجلس الادارة فهاجت الخواطر في البلاد واقلقت راحة العباد ولما كان مدحت جالساً على مائدة الطعام اتاه من اخبره بتلك الحالة ونبهه الى نشوب الثورة فنهض وامر بسوق الجنود الى الاماكن الملتهبة ناراً ثم استدعى اعضاء المجلس فلبوا دعوته مسرعين واتوه مطيعين بين مشاة وراكبين على خيولهم ووراءهم الخدم والحشم فامرهم بالجلوس في ساحة دار الحكومه التي كانت محاطة بشكل دائرة من العساكر الشاهانية وامراء العسكرية وكان مدحت ينظر اليهم بامعان حتى غصت الساحة بالمدعوين فالقى عليهم الخطاب التالي

« اني لواثق بان هذه الثورة مدبرة منكم وما هي الا ثمرة طيشكم فامركم باخمادها في مدة ساعتين والا ثقوا باني احرق المدينة وما فيها من كبيرها اصغيرها وصبيها وكهلها وغنيها وفقيرها لاميتكم اجمعين واقصد الاستانة حيث اموت شنقاً او رمياً بالرصاص فاعلموا بذلك والسلام »

وعند ذلك امر مدحت بهدم جسر دجلة الذي يقسم بغداد الى قسمين وكانت السفن راسية فيه ومستعدة لنقله مع عائلته

فتأكد حينئذ زعماء الثوره حقيقة الامر من هذا التهديد ومضاره وما يجرون على انفسهم من الخراب والدمار فاسرعوا واطفأوا الثورة في مدة وجيزة من الزمان

رجوع مدحت الى الاستانة

هذا ما حدث في ولاية بغداد وفي اثناء ذلك كانت حكومة الاستانه في حالة الارتباك على اثر وفاة الوزير الحر علي باشا الشهير وتعيين الوزير محمود نديم باشا خلفاً له في الصدارة · فتلقى مدحت هذه الحادثه بمزيد الاسف اذ كان محمود نديم باشا من الذين يميلون الى سياسة اللين

فادرك مدحت ما وراء ذلك من تأخير الاستعدادات اللازمه لترقية البلاد فكان هذا العهد امامه كسحابة مظلمة

حتى انه بعث في هذا المعنى اقوالا كثيرة منها الى نديم باشا نفسه تنبيهاً الى ما يخشاه من عواقب هذه السياسة ومع هذا لم يعمل بملاحظاته حتى استقال من ولايه بغداد وآب منها قاصداً الاستانه للنظر في الشؤون الخطيره والامور المهمة فاستقبله محمود نديم باشا بالاحتفاء والاكرام بدون ان يضمر له العداوة والانتقام مع انه كان حاسباً له الف حساب وخائفاً من مراقبة اداري حكيم وحر كبير فصار يرعى النجم ويسامر الكواكب مفكراً في التخلص من مراقبته فظل الحال على هذا المنوال حتى تعين مدحت من قبل الحكومه والياً لولايه ادرنه

مدحت في الصدارة

قبل مدحت بكل ارتياح ان يكون والياً على ادرنه ومثل قبل مبارحته الاستانة لدى الحضرة السلطانية فسأله السلطان عن اسباب تأخر البلاد وما هي الخطة المؤدية الى سلامة

الوطن وسعادة الامة

فاجاب مدحت بهدوء و بلاغة على جميع اسئلته مبيناً ما يلزم اتخاذه من هذا القبيل لاسعاد الامة وترقية الدولة فكان لكلامه وقع عظيم في نفس السلطان وفي الليلة نفسها استرجع الارادة السنية التي بمقتضاها عين مدحت والياً لولاية ادرنه واصدر ارادة جديدة بتعيينه صدراً اعظم . فتقلد مدحت منصب الصدارة ولكن لم ينعم له بال بالنظر الى مبادئه الحرة التي جاهر بها كل المجاهرة كالمعتاد وكانت اعداؤه واقفة له بالمرصاد فقاموا يبثون الفساد واظهروا للسلطان ان المراد من هذه المبادىء الاعتداء على الاسرة الملوكية والسلطة الشاهانية .

فعليه مكث مدحت في الصدارة ثلاثة اشهر ثم استقال منها فعينته الحكومة بعدئذٍ ناظرا للعدلية التي اقام فيها مدة قليلة وتركها بسبب عدم تصديق الباب العالي على بعض مشروعاته واقتراحاته وغادر الاستانة قاصدا ولاية سلانيك حيث عين والياً عليها فقضى فيها بضعة شهور ثم غادرها عائداً الى الاستانة

حيث ظل مدة معتزلاً السياسة ومستريحاً من عنائها ومشاكلها .

رجوع مدحت الى نظارة العدلية

في سنة ١٨٧٥ اقترح مدحت على الحكومه ان يكون مندوباً عثمانياً في الهرسك ليردها الى الطاعة مثل بلغاريا وسواها فرفض الباب العالي اقتراحه مدفوعاً من نفوذ الذين لهم غاية في انتشار الفوضى وابقاء الحالة على ما كانت عليه .

فاسند السلطان اليه نظارة العدلية الا انه لسوء الحظ اخذ اعداء الاصلاح يعاكسونه و يعرقلون مساعيه حتى انه لم يطق صبراً فرفع مذكرة الى السلطان تكشف عن اعمالهم الستار وتبين ما وراءها من الاضرار وانهى كلامه بالاستعفاء من منصبه .

فأعرب له احد اصدقائه عن تعجبه من هذه الجسارة في تقديم استقالته ومما كشف للسلطان بمثل تلك الحرية والشجاعة

فبسط مدحت يده نحو قرن الذهب قائلاً :

لقد خيل لي ايها الصديق ان باخرة تدخل ذلك القرن بسرعة لكي تقلني الى المنفى وتجسم لي هذا الخيال حتى اثر في اشد تأثير واعلم ان عوامل التأثير هي التي دفعتني الى تقديم استقالتي والمذكرة التي استوجبت اعجابك . وقد قبل السلطان استعفاء مدحت واستمر الحال كذلك بضع سنين الى ان ابتدأ عهد السلطان عبد الحميد خان الثاني

مدحت والسلطان عبد الحميد خان

كان محمد رشدي باشا صدراً اعظم في اوائل عهد السلطان عبد الحميد خان الثاني وكان حاوياً للصفات النبيلة والمدارك العاليه ومنتصراً لرجال تركيا الفتاة ولكنه لم يكن شديد المضاء في العمل وهذا ما اخر اعمال الحكومه حتى اضطربت الحالة الداخلية والخارجية

وبناء عليه اجتمع سفرأ الدول في الاستانة للمداولة في

الشؤون العثمانية الحاضره وما يلزم اجراوءه من الاصلاحات في داخلية البلاد العثمانية ·

فادرك السلطان عبدالحميد الخطر واسرع في تلافيه فاستلم اختام الصدارة من يدي محمد رشدي باشا وسلمها الى مدحت باشا في ١٩ اوكتوبر سنة ١٨٧٦ وبعد اربعة ايام نالت الامة العثمانيه مجلساً نيابياً واليك صورة الخط الهمايوني الذي صدر في تعيين مدحت باشا صدراً اعظم ·

وزيري سمير المعالي مدحت باشا

بناً على استقالة وزيري محمد رشدي باشا من الصداره العظمى لاسباب صحية ولتقدمه في السن فاستقر رأينا ان ننظر في حسن ادارة اشغال دولتنا العلية التي لا باعث للاعراب عن اهميتها الان وان نحل بصفة مرضية كافة العقد والمسائل الموقوفة لنبرز امام العالم باسره حقوق دولتنا وان نحسن حالتها المالية فاسناد منصب الصداره العظمى الى ايدٍ مقتدرة من اسمى الواجبات فنظراً لميلكم الشديد واستعدادكم

العظيم لما تقدم ذكره لقد عهدت اليكم بهذه المنهة واني لآمل ان تصرفوا ما في وسعكم في ادارة الاعمال بصورة مقبولة وحسنة فعسى المولى تعالى ان يكلل مقاصدكم بالفوز والنجاح وهو سميع الدعاء مجيبه

مدحت والدستور على الابواب

سبقنا وذكرنا عن اجتماع سفراء الدول في الاستانه وان الغرض من هذا المؤتمر ان ينظروا فيما يتعلق بشؤون الدولة العلية واصلاح داخليتها ولكن ابى الله ان يكون لهم نصيب في هذا الاجتماع وفي الساعة التي هم فيها وكلاء الدول لعقد المؤتمر حيّت القلاع والسفن الحربية الدستور العثماني تحية دستورية باطلاق المدافع فكان حينئذ صفوت باشا ناظراً للخارجية فقصد مقر السفراء وافادهم مبشراً بخطاب مختصر بليغ قائلاً

« اطلقت المدافع مبشرة بالعيد السعيد عيد الدستور

وهذا الدستور بفضل رجالنا الاحرار ومساعيهم هو فاتحة عصر جديد وانقلاب عظيم في كافة شؤون الدولة العثمانية »

وبعد هنيهة علم سفراء الدول بالخط الهمايوني وبخطبة مدحت باشا ومنها قوله

« لقد نلنا بنعمة الدستور حقوقاً جديدة وهو كسراج منير سيرشدنا ويهدينا الى الكمال الحقيقي هذا هو السراج الذي بنوره نقلت دول اوربا من ظلمة الجهل الى عالم النور تلك الدول التي بفضل مجالسها النيابية اصبحت الان مثالاً جميلاً وقدوة حسنة تستفيد منها الامم ويقتدي بها العالم ويعرف كل فرد من افراد الهيئة الاجتماعية ما له وما عليه من الحقوق والواجبات »

هذا من ضمن ما فاه به مدحت باشا في ليلة العيد العظيم عيد الدستور العثماني وامام تلك المظاهرات العلنية الحرة التي تدل على ارادة الحكومة ومقاصدها الشريفة وجهادها

في سبيل الحرية والمساواه والاخاء فلم يبق لسفراء الدول مجال للقيل والقال ولم يسعهم الا الرجوع عن خطتهم وشكر الحكومة العثمانية على ما انعمت به على رعاياها بدون تفريق فدخل حينئذٍ المؤتمر في حكم العدم وانسد سبيل التداخل في وجه السفراء

مدحت والقانون الاساسي

جاهد مدحت كل حياته حتى رأى تلك الساعة التي اعلن فيها الدستور العثماني فاول ما خطر بباله ان يهتم بسن قوانين تصونه وتحفظه وتوطده وتقوي دعائمه فاقترح على الحكومة تشكيل لجنة خصوصية للمباشرة بالاعمال اللازمة فصدرت الارادة السنية بذلك وتشكل مجلس شورى القوانين من ثمانية وعشرين عضواً من نخبة الاعيان والامراء منهم ستة عشر من موظفي الملكية واثنان من مأموري العسكرية وعشرة من موظفي العدلية واليك اسماءهم

جواد باشا ناظر العدلية . سفيح باشا ونامق باشا من الوزراء السابقين . سرور باشا ناظر الاشغال العمومية . كيماني باشا ناظر العوائد الميرية . فوزي بك محافظ الاستانة العلية ويليهم ثلاثة مستشارين من العناصر المختلفة ويأتي بعدهم محمود باشا رئيس اركان الحرب . وعزيز باشا العضو في اللجنة العسكرية . وسيف الدين بك رئيس محكمة الاستئناف وغيرهم من الذين كانوا ملمين بامور الدولة واحوالها ومن عرفهم حق المعرفة يقول انهم اكفاء حاصلون على الصفات النبيلة والمدارك العالية اللازمة لقضاء تلك المهمة السامية التي عهدت اليهم بها الحكومة العثمانية

مدحت وتنفيذ القانون الاساسي

انتهى عمل مجلس شورى القوانين وتم وضع القانون الاساسي بعد تدقيقه وتحقيقه طويلاً فاصبح قانوناً وافياً لدستور كامل ولكن ظهر حوله النقد وكثر القيل والقال وتضاربت الآراء

فيما اذا كان يعمل به او يطرح في زوايا الاهمال وهل يبقى حبراً على ورق او تنفذ جميع مواده ومعانيه وفي ذلك قال صوت باشا مابلي

« ليس الدستور وعداً من الوعود او اقتراحاً من الاقتراحات بل هو عمل يحيط الدولة باسرها و يشمل الرعايا باجمعها والاهالي والحكومة وجلالة السلطان معاً وانهم فيه متضافرون ومتضامنون ومتحدون فلا تحركه حينئذ قوة ولا يزعزعه عامل وحيث ان الاعمال بالرجال فالمأمول من غيرة صدرنا مدحت باشا وهمته ان يدوم الدستور مادام هو في قيد الحياة وبعده ولقد تحققت اماله فلا تعسر عليه صيانته وحمايته من العبث به ومن طوارق الحدثان والامل وطيد انه يقوم بواجباته بسهولة حيث لا يقتضي له سوى توسيع باكورة الاستعدادات التي اعدها والنظامات التي رتبها سابقاً وقرن فيها العلم بالعمل فالمهمة بلا جدال عسيرة ولكن يسهلها حزم مدحت وعزمه هذا ولاسيما ان حوله كثيراً من الاحرار المخلصين الذين يشار كونه في العمل وهو يدربهم ويمرنهم في سبيل خدمة الوطن

وقد قال مدحت لبعض اصدقائه في ليلة عيد الدستور العثماني ما يلي :

« لا تظن اني احسب نفسي مصلح الدولة الا اني في الحقيقة لا اتاخر لحظة ولا ارجع قدماً عن اجراء ما كلفتني به الحكومة والانسانية واما المنشور العالي الذي احيل اليّ لتنفيذ معانيه فسانفذه بروحه وحروفه »

فانظروا ما تحت هذا القول من التواضع والشهامة والروح الشريفة

مدحت في مدرسة الكلخانه

قد نقلنا الحكاية الاتية لما فيها من الايات البينات الحرة

زار مدحت مدرسة الكلخانة وخطب في تلاميذها ونظر فيها غلاما في الاثنى عشر عاماً وعليه رتبة جاويشيه فتقرب منه وسأله

ما هو اسمك يا ولدي

— بوركي افندم

— ومن بعدك في الرتبة يا ابني

— احمد افندم

فقال مدحت جد بوركي واجتهد فمن الضروري ان يكون اعلى رتبة من سواه ثم التفت نحو الجمهور الذي كان حوله قائلا »

« هكذا اود ان انظر في الدولة كافة العناصر من مسلمين ومسيحيين وموسويين وغيرهم مختلطين في صف واحد بلا فارق يفرقهم ولا امتياز يميزهم سوى الرتبة التي لا تعطى الا بنسبة التقدم والرقى في العلوم والافعال المشكورة »

هذا ما قاله مدحت فانظروا ما تحت هذه الالفاظ من الحكمة

مدحت ورفعت باشا

بعث مدحت خطاباً الى رفعت باشا والي ولاية الدانوب جاء فيه ما معناه

« بمنه تعالى قد اسند الي منصب الصدارة العظمى وليكن معلوماً انه في عصرنا هذا يجب على موظفي الحكومة ان يقوموا بما عهد اليهم من الخدم باخلاص وامانة وشرف هذه الاخلاق التي تزين الانسانية فالذين يعملون بها انهم لصالحون وبمراعاة القوانين يسود العدل في البلاد وتسعد العبـاد » هذا ما كتبه مدحت لرفعت باشا والي ولايه الدانوب منبهاً بصيانة العدل الذي هو اساس الملك

مدحت والمالية العثمانية

اشتهر مدحت باشـا بشدة مراقبته للمالية العثمانية

ومراعاته لاحكام الاقتصاد السياسي ومن جملة اجرآاته في سبيل تقدم المالية العثمانية ونجاحها المذكرة التي بعثها الى البنك العثماني ايلغي قانون ٦ اكتوبر المالي منها قوله

« انه من واجبات الحكومة الحاضرة ان تنظر في تعديل نظاماتها لتكون مطابقة للمبادي‌ء الدستورية ولذلك قد الغينا قانون ٦ اكتوبر سنة ١٨٧٥ المالي الذي هدم كيان اقتصادنا السيامي فلا يعمل به وقد اخذت حكومة الاستانة على عاتقها ان تضع نظاماً وتعرضه على مجلس الامة وسيكون بلا شك ضامناً لحقوق ومصالح الدول القابضة على زمام الدين العمومي مع المحافظة في الوقت نفسه على حقوق دولتنا العلية » فيستفاد مما تقدم ان اول باب طرقه مدحت من ابواب الاصلاح بعد اعلان الدستور كان باب الاقتصاد لاصلاح المالية العثمانية مباشرة وفي هذا العمل خطة سياسي حكيم واداري عظيم لانه وضع على بساط البحث والتدقيق روح الامة العثمانية الا وهي ماليتها

اخر ايام مدحت

جاهد مدحت جهاد الابطال معظم حياته حتى اصلح ونظم ورقى شؤون الدولة وانقذها من مشاكل خطيرة فقرت عينه وطابت نفسه وانشرح صدره لما رأى ثمرة جهاده الطويل اعلان الدستور وتمتع الامة بالحرية والعدالة والمساواة

ولقد جرت الانتخابات النيابية في جميع الممالك المحروسه واختارت الامة من يمثلها في مجلسها النيابي وما هي الا بضعة شهور حتى كان المجلس النيابي منعقداً في دار السعادة وعاصمة السلطنة وبدأت جلساته فاتجهت انظار العالم اليه واصغت الاسماع الى ما يدور فيه فكانت مناقشاته من خير ما يجري في المجالس النيابية فكان ذلك فألاً حسناً يبشر بحسن المستقبل وسرعة رقي الدولة ونجاحها وفلاح الامة وسعادتها

ولكن ابت حوادث الليالي وتقلبات الايام مسالمة الدولة العلية ومصافاتها وافساح الوقت لها حتى تتمكن من بلوغ الشأو

البعيد والغاية المطلوبة

فبينما الامة تفرح بالدستور وتهلل له والنواب يقومون باعمالهم خير قيام ليضمنوا للدولة مستقبلاً زاهراً باهراً ومدحت يرجو المستقبل العظيم لدولته والعز والاقبال لامته واذا بالعقبات ظهرت فجأة في سبيل تلك النهضة واندفع عليها تيار المشاكل من قبيل دولة روسيا فهجمة عليها بسياستها ونفوذها وانذارها ووعيدها وتذمرها واحتجاجها وفتحت للمشاكل والازمات كل باب مغلق وعرضت على الحكومة السنية مطالب لا يمكن قبولها فرأى نواب ألامة ان شرف المملكة العثمانية أعظم من ان ترضخ الحكومة وتذعن لمطالب دولة روسيا

فعليه نشبت تلك الحرب الهائلة الشهيرة بين دولة روسيا والدولة العلية

وفي تلك المناسبة لم يشعر النواب الا وقد اصدر السلطان عبد الحميد خان امراً بحل المجلس الى اجل غير مسمى بدعوى ان الحرب تتطلب السرعة في الاعمال فلا يسع الحكومة ان تعرض كل شيء على مجلس النواب للتصديق عليه

ولكن حل المجلس كان بالرغم عن هذه الحجة بشكل دل على ان انصار الاستبداد واعوان الحكم المطلق اغتنموا الفرصة ولعبوا دوراً مهماً وعند ذلك شعر النواب بالضغط والاضطهاد فتشتتوا ايدي سبا وهكذا كان عمر الدستور العثماني الاول قصيراً لسوء حظ الدولة والامة

ورأى اعوان الحكم المطلق ايضاً ان الفرصة سانحة للقضاء على مدحت لان في القضاء عليه قضاء تاماً على الدستور فجعلوا يدبرون له المكائد واتهموه تهمة اشتهر امرها وعرفها الخاص والعام . فنفي مدحت الى الطائف حيث سجن في قلعتها ثم قضى عليه فيها فراح ذلك المصلح العظيم شهيد المروءة والشهامة والاخلاص وضحية الدستور العثماني والحرية والاخاء والمساواة قضى ومجده ليس بالفاني فكان ذلك حظه بعد جهاده الطويل وقضت الامة بعده ثلاثة وثلاثين عاماً راسخة في قيود الظلم والجور حتى منّ الله عليها بالخلاص وقام من بنيها من دكوا صروح الاستبداد واعادوا الدستور فاعادوا معه ذكر مدحت وهو نعم الذكر الخالد لجيل بعد جيل

تركيا الفتاة

« او جمعية الاتحاد والترقي »

ظهر حزب تركيا الفتاة من منذ سنة ١٨٦٠ وكان فيه رجال من ارباب العلوم واهل الآداب والوفاق ومن عناصر مختلفة اي من مسلمين وغير مسلمين الذين جاهدوا بصبر وروح قوية في سبيل خدمة الانسانيه وانتقدوا جهاراً الخط الهمايوني ان نظاماته غير كافية لاحياء الامة ومراقبة اعمال ولاة الامور التي هي من الزم لوازم الحياة الاجتماعية ومن ضروريات المنافع العمومية فكان مدحت القوة العاملة في هذه المبادي الحرة الا انه في الوسط الذي كان فيه استنشق هبوب ثورة هائلة فقاومها جهد طاقته لانه كان رجلاً عصامياً محتسباً بالله ومعتصماً به

فميوله كانت كما تقدم ذكرها عبارة عن تأسيس حكومة شوروية عادلة ومقبولة فجعل يسكن حرارة رجال تركيا

الفتاة الاحرار بقوله الصبر نصير العقـلاء واقنعهم بتأجيل تنفيذ مآربهم الى وقت يأتى بالمطلوب حيث كانت المواد المقتضية لادخال الحكم النيابي في نظره غير كاملة وبوجه الاجمال غير كافية لسد العجز الذي فيهـا ومراقبة سنوح الفرصة حتى تنتقل فيها الدولة من دور الى دور غيره بامان واطمئنان .

فقال لهم ذات يوم ما معناه :

اصدقائي الاعزاء

ان من نظر الى الامام وفكر في حوادث الايام فهل يجني الثمر من غير زرع التقاوي حاشا وكلا فـلا ينجح الامل الا بالعمل والصبر على قول الشاعر

لاستسهلن الصعب او ادرك المنى

فما انقادت الآمـال الا لصابر

فعليه متى تمت الاستعدادات وصارت البلاد صالحة لقبول النظام الدستوري فحينئذٍ نفوز بمـا نتمناه كما دلت الحوادث والعبر في كل زمان ومكان

لخطة الاصلاحات التي نحن عليها الآن اوفى بالغرض واكفل للنجاح فلا ينجح املنا الا بالصبر والتأني فننال الاماني ونبلغ الامال ان شاء الله

هذا ما قاله مدحت لرجال تركيا الفتاة في سنة ١٨٥٧ فانظروا ما فيه من الآيات والحكم

ومن ينظر الى اعمال تركيا الفتاة او جمعية الاتحاد والترقى يعتقد ان ارادتها وسعيها من سنة ١٨٦٠ الى الان في سبيل الخير لوطنها ناشئة عن حبها له ولولا حب الوطن لما عمرت البلاد ولا استراح العباد فمدافعة رجال تركيا الفتاة دامت مده خمسين سنة من عساكر وقواد وعلماء واعيان عن الاوطان منهم من ضحى نفسه ومنهم من ضحى ماله ومنهم من ضحى علمه عن مكارم اخلاقهم وحسن عهدهم وشدة محبتهم لوطنهم هذا مما لا ينكره الا الجاهلون

لقد سعت جمعية الاتحاد والترقي الى قلب نظام الدولة وتأسيسه من جديد وقيامه على مبادي العدالة والمساواه والاخاء

ان مسألة الدستور في الدوله العلية لعبت كما رأينا دوراً

مهما ووجهت اليها التفات العالم اجمع والان يعدون انصاره في مقدمة الطبقات الراقية مثل مدحت باشا روح الدستور العثماني ومثل الوزير الخطير محمود شوكت باشا ومثل نيازى بك الشجاع المقدام الذي ملك قلوب الجيش العثماني وقواده ومثل انور بك الذي جاهد بنفسه وعلو همته ومن آيات كلامه وبيناته انه قال ·

« ما تحصلنا على هذه النعمة الا بالاتفاق والاتحاد »

ومثل كافة اعضاء هذه الجمعية الذين يضحون ارواحهم في سبيل خدمة الوطن ومجده

فيجب على كافة من تخلق بالاخلاق العثمانية مع اختلاف الجنسية بذل الجهد في خدمة الوطن

وما هذا الا بخدمة العلوم والمعارف لانها تطهر البلاد من الاغراض وتعلم اهلها ما لهم وما عليهم من الواجبات نحو الامة والوطن ·

تركيا الفتاة والدستور

بمنه تعالى وبفضل جمعية الاتحاد والترقي العثمانية قد نلنا نعمة الدستور وجنينا ثمرة ما غرسه مدحت باشا في وطننا فيجب علينا ان نسطر ذكره في صدر التاريخ بحروف من ذهب

ومن راقب اعمال جمعية الاتحاد والترقي العثمانية وامعن النظر في كافة تنظيماتها وكيفية سيرها في تقدم البلاد يجد انها تشتغل تحت تاثير قوة محركة هائلة ومن يتصفح التاريخ بامعان يجد ان الباعث لهذه النهضة الشريفة والعامل فيها هي روح مدحت باشا نفسها بما فيها من النشاط والحزم ما يبهر العقول ويحير الافكار ويطرح المشاهد لهذه الجمعية الحرة في الحيرة والذهول قائلاً سبحان من يحيي العظام وهي رميم

زرع مدحت باشا بزرة فوجدت هذه البزرة حقلاً قابلاً للزراعة والفلاحة فنشأت فيها ونمت وغدت شجرة عظيمة واثمرت ثمراً حسناً وامتدت فروعها شرقاً وغرباً وطولاً وعرضاً

واخذت تحت ظلها ثلاثين مليوناً من النفوس وما ادراك ما هذه الشجرة هي الدستور العثماني وما ادراك ما هذه البزرة هي روح مدحت باشا

اتت جمعية الاتحاد والترقي في الدولة العثمانية حركة تستحق اعجاب العالمين وما تلك الا حركه وطنية مباركة تدل على ما فيها من العواطف الشريفة والغيرة الوطنية الصحيحه

هاجر رجال تركيا الفتاة من وطنهم وصاروا ينتقدون الحكومة والفوا كتباً واصدروا جرائد وكان عدد اعضاء هذا الحزب يزيد عن الالاف من طبقات الامة ولا فرق فيهم بين ارمني وموسوي ومحمدي ولذلك اصبح جهدهم مكللاً بالظفر ولولا الحصول على الدستور لضاعت البلاد وهلكت العباد فيجب علينا المحافظة عليه ووقايته من كل خلل يتطرق اليه وان نفدت الاموال والارواح دون ذلك

الدستور

هذه اللفظة اهتزت لها الافلاك واقيمت لها الاعلام وغضب عليها الكثيرون ورضي الاكثرون وما ادراك ما هو الدستور وبعبارة اوضح واصرح .ما هو القانون الاساسي فالجواب على سوألنا هذه كالجواب على سوألنا ما هو الصرف الفرنساوي او الانكليزي او الايطالياني او العربي فالصرف عبارة عن مجموع القواعد التي يلزم اتباعها ليكون الانسان مصوناً من الغلط في الكتابة والانشاء فالدستور العثماني او الفرنساوي او الانكليزي او الايطالياني كناية عن مجموح قوانين ونظامات الدولة التي يجب اتباعها ليكون الانسان في طريق العدالة والمساوة والاخاء ويعرف ما له وما عليه من الواجبات والحقوق في الهيئة الاجتماعية بدون تمييز الكبير عن الصغير والتاجر عن الوزير فالدستور يساوي الجميع

ثم ان هذه اللفظة البسيطة تتضمن سلسلة روايات تاريخية موءلمة و بعبارة اصرح واوضح رواية جرت فيها دماء الوف موءلفة من الناس الابرياء الذين جاهدوا في سبيلها اولئك الابطال الذين ساروا على مبدأ شريف ونظام منير وحصروا موادها في الالفاظ الاتية حرية مساوه اخاء

ما الطف هذه الالفاظ وافخرها وابهاها واجملها ان هذه الالفاظ البسيطه فيها الروح الشريفة والشجاعة الادبية روح مدحت باشا السامية التي اقدمت على تطهير البلاد وتنظيف الفساد الذي تراكم في عهده وثبتت روح الالفه والمحبة وحثت الحكومه في سبيل العدالة والمساواة والاخاء التي هي اساس الملك واننا لو القينا نظرة على تاريخ ارتقاء الامم وتدريجها في مدارج النجاح نجد ان الدستور في جميع هذه الامم كان سبب تقدمها ورفعتها الى قمة الكمال ولو نظرنا بعين الحقيقة لوجدنا على حد قول المرحوم مدحت باشا ان الدستور عبارة عن سراج منير ارسل اشعته الساطعة فانار الامم وهدى النفوس وقطع دابر

الاستبداد وطهر الانسانية من ادران الشقاق وهذا السراج او هذا الدستور مقبول ومشكور من الاوائل والاواخر ولو رجعنا الى اقوال علي رضي الله عنه وطالعنا تلك الالفاظ الذهبية التي ما زالت الى الان ترن في الاذان لوجدناه يقول :

(نعم الموازرة المشاورة وبئس الاستعباد الاستبداد) فالمتأمل في هذه الحكمة العالية يجد انها من اسمى الكمال وتاج الاحكام والحكم

وقد تمثل ذلك كل التمثيل وازهرت ازهاره العاطرة في كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فانه امر بتأسيس مجلس شوري بعد موته لينتخب من كان اميراً وقد انتخب عثمان رضى الله عنه ولم يقطع دابر الاستبداد الا الشورى

فقال الشاعر :

الرأي كالليل مسود جوانبه
والليل لا ينجلي الا باصباح

فاضمم مصابيح اراء الرجال الى

مصباح رايك تزدد ضوء مصباح

فعلى خطة هذه الآيات الحكيمة الادبية سارت الامم الاجنبية ونجحت مقاصدها وعلت الى ذروة العلا واوج السعاده

الجمعية وعيد الدستور

بفيضه الرباني وعناية جمعية الاتحاد والترقي العثمانية قد انتصر الشعب في هذا اليوم المبارك هذا اليوم الذي فيه بزغت شمس العداله والمساواة والاخاء بعد ما توارت في الافق المظلم مدة ثلاثين عاماً فظهرت من بين الغيوم المتراكمه روح مدحت باشا تلك الشمس المنيرة فانعشت الارواح وازالت الاتراح والبست جميع العناصر العثمانية ثياب السرور وادارت عليهم كوءوس التهاني بصفاء وحبور حتى انارت البلاد بشعاعها اللامع

ونورها الساطع فعم الابتهاج من المشرق الى المغرب وسار في الامم سريان الكواكب في عالم الافلاك ٠

اتاح الله لنا بهمة جمعية الاتحاد والترقي العثمانية وجيشنا المظفر هذا اليوم الذي فيه غنت الاطيار على الاغصان والبلابل على الاشجار والانام على الاوتار فشكرت البلاد والعباد هذه النعمة وحمدوا المولى ٠

بهمة الوزير الخطير محمود شوكت باشا وعنايته مع سائر القواد البواسل هذا اليوم قطع دابر الاستبداد في كل البلاد وصاح في العباد :

« ايا عباد انقوا ٠ وياعدالة انهضي ٠ وياحرية اجلسي على عرشك المتين فللاستبداد زمان انصرم والدسايس حبل انقطع فاليوم يوم الحرية والمساواة والاخاء فلا اعاد الله التفريق والشقاء والظلم والجفاء والجور والعناء ثم كشف لنا الستار وجمع شملنا واطرح الاوهام واكثر الامال وربط العناصر وشد ازرها ورفع الافكار الى اوج الكمال وذروة المجد والافتخار بفضل عساكرنا الاحرار فصار كل عثماني يفتخر

بجنسيته ويمشي في نعيم ظل رايته ويمدح جلالة سلطانه الدستوري وجمعية الاتحاد والترقي فالحرية شعارهما الشريف والمساواة آيتهما الكريمة والاخاء عروتهما الوثيقة فالواجب على كل عثماني غيور في كل عام في هذا اليوم ان ينشد اناشيد الحرية وتتلى آيات المساواة تحت لواء الاخاء خصوصاً نحن في عصر منير والحمد لله الا وهو عصر جلالة سلطاننا الاعظم محمد رشاد الخامس أيد الله ملكه ورجاله الاحرار

✻ الجمعية وجلالة السلطان ✻

هذا وقد نقلنا نتفاً من الاحتفال بعيد الدستور العثماني في الاستانة العلية في كتابنا لاظهار ما هو عليه جلالة سلطاننا الاعظم محمد رشاد الخامس من الافكار السامية والمحبة والاخلاص نحو الامة والوطن العزيز

في يوم ٢٤ يوليو سنة ١٩٠٩ اذ كانت الساعة الواحدة صباحاً احتفل على هضبة الحرية التي دفن عليها المجاهدون في ثورة ١٣ ابريل المشهورة بوضع الحجر الاساسي لبناء الحرية الذي شيد تذكاراً لاولئك الابطال شهداء الحرية والمساواة والاخاء وقد وضع هذا الحجر جلالة السلطان الاعظم محمد رشاد الخامس بيده الشريفة هذا وان اللجنة التي انفذتها جمعية تركيا الفتاة او الاتحاد والترقي الى الاستانة العلية لرفع التهاني الى جلالة السلطان بالعيد الجليل عيد الدستور العثماني المكرم وصلت الى الاستانة وتشرفت بالمثول بين يديه فقال رئيس الهيئة .

« نرفع الى اعتابكم العالية وانت اول سلطان دستوري عريضة التهنئة التي حملتنا اياها جمعية الاتحاد والترقي العثمانية متضمنة الخالص من تهانئها بهذا العيد المبارك وهبك الله زيادة العمر والرفاهية والسرور »

ثم تناول جلالة السلطان العريضة قائلاً

« وانا قبلت تهنئتكم واشكركم وخطب عليهم الخطبة

الآتية . العدل والمساواة والاخاء الفاظ سامية ولا شك في ان السعادة تحصل في البلاد بقدر فهم معاني هذه الكلمات وانكم لجديرون بالتهنئة لسعيكم في توطيد اركان هذه القواعد الذهبية ولاظهاركم المحبة والاخلاص في هذا السبيل واني لامل انه سينال العثمانيون الخير والسعادة ما توطدت في سلطتنا قوانين الدستور وارجو ذلك من لطف الله وعنايته تعالى

انا خلقت وولدت دستوريا طبعاً وقد قضى الله ان اكون ملكاً في عهد الدستور والحمد لله على انعامه . هذا وثقوا لو كنت سلطاناً في دور الاستبداد لوهبت الدستور من تلقاء نفسي لقد كان العهد الماضي يكدرني ويسوءني ولكن كان المقدر تتجلى ارادته سبحانه عز وجل في هذا الزمان وسنال كلنا السعادة ان شاء الله فبلغوا سائر اخوانكم سلامي واخلاصي .

وقد قالوا اني تعبت حين وضعت الحجر والتراب في اساس بناء الحرية قلت كلا وحاشا فمانقل الحجر ليتعبني وانا لو انشأت وبنيت هذا البناء وحدي لما قضيت حق اولئك الابطال شهداء الدستور العثماني »

فخرجت اللجنة من بين يدي جلالته وهي السن ناطقة بالدعاء له بطول البقاء لما شهدت من مكارم الاخلاق والرأفة والشعور والشفقة ٠

﴿ الجمعية ودول اوروبا ﴾

سعى رجال جمعية الاتحاد والترقي مثل المرحوم مدحت باشا ومثل الوزير الخطير محمود شوكت باشا ومثل الابطال نيازي بك وانور بك وسائر اعضاء هذه الجمعية وبذلوا النفس والنفيس في سبيل خدمة الانسانيـة وشرف الوطن ومجده وكرامته في الداخل والخارج

لان للجمعيه مقصدين احدهما داخلي والاخر خارجي فالداخلي صيانة الوطن في الداخل والخارجي المحافظة على كرامته وشرفه في الخارج وان الجيش العثماني المظفر وقواده الاحرار لجديرون بصيانته في الداخل والخارج وجمعية الاتحاد

والترقي ورجالها الكرام قادرون على حفظ كرامة الوطن ومجده امام الدول

هذا وبفضل جمعية الاتحاد والترقي العثمانية اصبحت اليوم الدول تشكر اعمال رجالنا الاحرار وتعطف عليهم وتريد مساعدتهم وتستقبلهم باجلال والاكرام في اندية اوروبا السياسية ·

لما نالت دول اوربا مجالسها النيابية لم تكن هيئة الاجماع فيها اكثر حضارة واسمى مدنية مما نحن فيه اليوم ومن تصفح تاريخها وجد ان هذا القول له من الادلة مقدار كاف لاثباته فاليوم عندنا رجال من فطاحل السياسيين واهل الشجاعة والاقدام من السواس العظام الذين بلغوا الغاية القصوى في الحنكة والعرفان مثل ناظر الحربية محمود شوكت باشا وناظر الماليه جاويد بك وناظر الداخلية طلعت بك وسائر الوزراء الذين في امكانهم ان يضمنوا لنا المركز السياسي الذي يوءهل دولتنا لان تكون فى مصاف الدول الغربيه هذا وجيشنا المدرب والمنظم على آخر طرز في

العلوم الحربية هو الجيش الذي خاض الحروب الهائلة والمعامع الطائلة في امكانه ان يحافظ على املاك دولتنا العلية في الداخل وكرامتها في الخارج وله من الاختبار والتجربه ما يجعله في اول طبقه بين صفوف جيوش العالم المتمدن وجملة القول اننا رأينا في عهد الدستور من الجمعية من الاصلاح الداخلي والاقبال الخارجي ما لم نرَ شيئاً منه في العهد الماضي فكانت الدول الاجنبيه واقفة لنا بالمرصاد فاليوم تشكرنا وتساعدنا طوراً ادبياً وطوراً مادياً فالحمد لله على نعمه وآلائه .

✻ الجمعية والاحزاب السياسية ✻

وجود الاحزاب مما تقتضيه الحال في كل بلاد دستورية فقد كان حزب تركيا الفتاة او جمعية الاتحاد والترقي اول حزب تكوّن في الدولة العليه من منذ سنة

١٨٦٠ كما رأينا في هذا التاريخ ان هذا الحزب الذي جاهد جهاد الابطال حتى اعلن رجاله الدستور العثماني وحققوا الامال بما بذلوه من الارواح والاموال وتقاص ظل العبوديه والاستبداد وخفقت اعلام الحريه وسارت العباد في نهضتها الحديثه نهضة الكمال الحقيقي فتلاه الحزب الحر وجعل يقاوم حزب الاتحاد والترقي مقاومة عنيفه مقاومة العدو للعدو حتى افضت الى اوخم العواقب وجرت فتنة ابريل المعلومه والمشهورة وقضى بعد تلك الثورة على الحزب الحر فلم يبق له اثر في الوجود . ثم رأى نواب الامه من الضرورة وجود احزاب في البارلمان . فعليه تشكل حزبان حزب المحافظين وحزب الحر المعتدل فاصبحت الاحزاب في مجلس النواب ثلاثة حزب الاتحاد والترقي وحزب المحافظين والحزب الحر المعتدل الذي الفه نواب الولايات العربيه

فحزب الاتحاد والترقي يدافع عن الحقوق المهضومة عامه والحزب الحر المعتدل يدافع ايضاً عن حقوق ابناء الوطن

عامه ومنافع ابناء العرب خاصه والجميع يشتغلون لغرض
واحد الا وهو المحافظه على القانون الاساسي ووقايته من
كل طاريء يتطرق اليه والمجاهدة في سبيل تقدم الاوطان
فما على احزاب عناصرنا بعزيز وقد شهدت لها فطاحل السياسه
مثل لامارتين في مدحه العنصر التركي مدحاً يذكر بافتخار
ومثل اللورد كروم في ثنائه على العنصر العربي وفطرته
الطبيعية فيجب على العنصرين ان يتفقا ويتحدا في المحبة والوئام
وينظرا في الشوون الحاضرة وما يعول عليه في راحة الرعية وسعادتها
بتقدم العلوم ونشر المعارف واحياء الزراعه وبث روح الالفة
والمحبة بين العناصر وليس هذا ببعيد ان شاء الله حفظهم المولى
اجمعين وصان دولتنا وجلالة مولانا السلطان الاعظم محمد
رشاد الخامس اطال الله بقاءه امين

جمعية الاتحاد والترقي والوطن

مرت علينا سنون مديدة ونحن في الدولة العلية العثمانية متمتعون بحلل الرفاهية ساهرون بامان نائمون باطمئنان اكلون من خير البلاد شاربون ماءها من موردها العذب مستنشقون الهواء الذي هو ارق من النسيم وفيها اطعمنا الفلاح غلته وسقانا اللبان من لبنه وحمانا الجيش في حمى حميته وحرسنا الحارس بحرسه واموالنا مصونة من كل معتد وحقوقنا محفوظه من الخطر في ظل الراية العثمانية فالشكر ترجمان النية ولسان الطوية ومصدر السعادة الابدية فما هذا الشكر الا لجندية دولتنا العلية واخواننا الاحرار رجال جمعية الاتحاد والترقي واذا مددنا لهم يد المساعدة لكان لهم الحظ الاكبر ولنا النصيب الاوفر وكل فرد من افراد الهيئه الاجتماعيه على قدر طاقته فالعالم بعلمه والصانع بصناعته والتاجر بتجارته وماله والشجاع بشجاعته وانتم يا معشر العثمانيين احق من يتحلى بهذه الفضائل وبذل الجهد والاجتهاد

في تقدم الاوطان لقد ان الاوان وحل الزمان لنشكر دولتنا ونخدمها خدمة صادقة

فيجب علينا ان نظهر الغيرة نحو الوطنية والحمية والتعقل في كافة اعمالنا ونعيش في دائرة الدين والادب

وان نسعى في كل ما يعود على وطننا بالخير لنكون عونًا لجمعية الاتحاد والترقي ونسهل لها سبيل خدمتها لتقوم بواجباتها المقدسة خير قيام لقد نلنا بفضلها حرية الفكر وحرية العمل وحرية الاجتماع وحرية الاعتقاد وحرية اللسان وحرية لا تعد ولا تحصى ومنها حرية التعلم والتعليم لكى نستفيد ونفيد ونتقل من دائرة العلم الى دائرة العمل على حد قول الشاعر

علمٌ بلا عمل لا تستفيد بـه

ولا تفيد فتمضى خائب الامل

فسعادة الانسان مقرونه ومرتبطة بسعادة وطنه والانسان العامل في وطنه هو الامة لان الامـة هي العمل ومن لم

يعمل ويخدم وطنه فعدمه خير من حياته والوطن عائلة
اذا اصاب احد افرادها خيرًا تمتعوا به جميعًا لذلك يجب
علينا ان نشترك باصلاح ما هو فاسد في دولتنا ونمد يد
المساعدة لجمعية الاتحاد والترقي في مضمار تقدم الشعب الصابر
صبر الكرام

﴿ الزراعة ﴾

نهضت حكومة الاستانة اليوم نهضتها الاقتصادية الزراعية
وقررت امورًا كثيرة اهمها انشاء مكاتب في قسطموني وسيروز
وطرابلس الغرب لتعليم الاهالي استعمال الآلات الزراعية

وقررت ايضاً جعل المدرسة الصناعية في سلانيك مدرسة
عالية لتعليم فن الزراعة وتطبيق العلم على العمل واستقر رأيها
بانشاء مدارس زراعية جديدة في ادرنه و بغداد ودمشق وفتح
مخازن للآلات الزراعية في حلب وويانيه و بتليس ووان
وقسطموني ومعموره العزيز ودمشق الشام . فاهتمت حكومة
الاستانة اهتماماً لم يسبق له نظير في الشوءون الزراعية حيث
انها المصدر الاول لحياة دولتنا العلية وفيها فائدتان الاولى

تقوية الفلاح ونهضته وسد حاجاته والثانية توفير اسباب سعادة الدولة التي لا دواء لها الا باصلاح حال المزروعات وتوفر المال اللازم لتقوية الفلاح بانشاء النقابات الزراعية في جميع الولايات. ما تقدمت الزراعة في البلاد الاجنبية الا بايجادهم النقابات الزراعية والشركات العقارية في كل قرية ومكان فهو كناية عن شراء ما يلزم للزراعه كالمواشي وطعام المواشي والآلات الزراعيه والتقاوي فيجب علينا التعاضد والتضافر والاتحاد لايجاد مثل هذه النقابات النافعه وفيها خدمه للدولة وسد لحاجة الفلاح وان اصغر تاجر من تجار الدولة يمكنه ان يحمل سهماً من اسهم هذه النقابة فاذا نجح الفلاح نجح التاجر واذا نجح التاجر نجحت هيئة الاجتماع واذا نجحت هيئة الاجتماع نجحت الحكومة وتوفرت سعادة الدولة فانهضوا ايها المتمولون لايجاد هذه النقابات الزراعية وهي خير لكم و بركة لاولادكم وخدمة لدولتكم والله يوفقنا الى ما به خير البلاد والعباد

﴿ الاتحاد ﴾

ان الاتحاد شريعة بمقتضاها تتحاب الاقوام وتتعاضد

وبعبارة اصرح لا شيء اخر سوى محبة قلبية حقيقية مادية ومعنوية واجبة على الانسان مهما كان بدون امتياز وما هذه المحبة الا السير في سبيل خدمة الانسانية وبما انه لا يمكن لفرد من افراد الهيئة الاجتماعية ان يقوم وحده بالمهمات العالية والوظايف الخطيرة والاعمال المبرورة والمساعي المشكورة هذه الفضائل التي هي من الزم لوازم الجامعة الانسانية فمن الضرورة ان يتحد هو واخوانه اهل الفضل والاحسان والآداب والعرفان على اتمام المشروعات الجليلة والاغراض السامية التى بها تعمر البلاد وترتقي الشعوب

ويد الله مع الجماعة

« وان الله لا يضيع اجر من احسن عملاً »

فطبقاً لهذه المباديء الساميه قد تأسست جمعية الاتحاد والترقي من منذ خمسين عاماً وخاضت بحور البر والاحسان بهمة رجالها الاحرار الذين قالوا ما نلنا نعمه الدستور الا بالاتحاد وقاموا بمهمات فائقه واعمال شائقه تستحق جزيل الثناء والشكران حتى اصبحوا المثل الاعلى بالشهامه والشجاعه واصالة الرأي

فنسأله جل شأنه ان يوفق اعمالهم للقيام بالتضافر والاتحاد في سبيل خدمه الانسانيه والوطن و يرشدنا الى ما فيه سعادة اخواننا العثمانيين بظل جلاله سلطاننا المحبوب محمد رشاد الخامس حامي حمى المعارف والاحكام حامل لواء العدل والنظام مكررين الدعاء له ان يطيل عمره وعمر انجاله

﴿ البحرية العثمانيه ﴾

ان الاسطول هو القوة البحرية وما احوج الدولة العليه الى تلك القوة في هذا الزمان الذي فيه تتسابق الدول باجمعها في تعمير اساطيلها وانشاء مدرعاتها الكبيرة وتقوية بحريتها ما احوج الدولة الى اسطول عظيم يوءيد رايتهـا في البحار ويخفر شطوطها وهو لها من الخوف امان ومن الشر عصمه وصيان وللسكينة ضمان فيعزز مصالحها و يرفع مقامها و يلقى الهيبة في نفوس الدول فتعدل عن كل مطمع وتقف عن كل مطمح وهو اقوى كفيل مع الجيش بوقاية الدولة من كل خطر

ان للدولة العلية جيشاً جراراً عظيماً باسلاً ضربت بشجاعته الامثال وشهدت بقوته التواريخ الا ان القوة البرية لا تكون في

عصرنا هذا كافية ولا بد من ان يكون لها شقيقة في البحار ومتى اجتمعت القوتان تصبح الدوله في زمان قريب سيدة مياهها وتملأ ابصار الدول الكبرى والصغرى معاً و يصبح مقامها سامياً ونفوذها عظيماً وتتغلب على كل دولة طامعة ولو كانت اعظم دول الغرب ويكون لها كلمة مسموعة عند الدول باسرها وشأن خطير في السياسه الدوليه ان شأ الله

لذلك يجب علينا نحن معشر العثمانيين عموماً ان لا نبخل بما في استطاعتنا لمساعدة اسطول دلتنا العلية :

لا يكلف الله نفساً الا ما في وسعها

فكل واحد على قدر امكانه من عظيمنا وحقيرنا وغنينا وفقيرنا ورجالنا ونسائنا ان نقدم الاموال لانشأ البوارج والدوارع ما من مسئلة ذات شان الا كانت هذه فوقها نسأل الله ان يبلغنا ما نرومه ونرجوه امين

الجندية العثمانية

ان الجيش هو القوة البرية وما احوج الدولة الى تلك القوة في هذا الزمان ما احوجها الى جيش جرار منظم يوطد الامن

في البلاد ويخفر حدودها ويقوي نفوذها ويرفع شأنها ويملأ ابصار اعدائها فيعدلوا عن كل مطمع ·

ان لدى الدولة العلية جيشاً عظيماً ضربت بقوته الامثال وهو يستطيع منازلة اعظم جيوش العالم تعود الكفاح في المواقع والمعامع فيجب ان نهتم بالجيش اعظم اهتمام حتى يكون الجيش العثماني المظفر في مقدمة الجيوش وقد شهد الصديق والعدو بان الجنود العثمانية ممتازة بشجاعتها وبسالتها عن سائر الجنود حتى ان الصفات الحربيه طبع ووراثة طبيعية فيها لا تطبع وقد كان ينقصها حسن النظام فاليوم لا تقل نظاماً عن احسن جيش في اوروبا ومما يذكر في هذا الباب انه اصبحت مسألة الجنديه العثمانيه من اكبر المسائل التي تشغل الحكومه العثمانيه الان فهي من جهه تهتم بتنظيم جميع فيالق الجيش ومن جهه اخرى تهتم بادخال غير المسلمين في الجنديه العثمانيه ولا بد لجميع العثمانيين من اي جنس ومذهب ان يدخلوا في سلك الجنديه ممتزجين في البلوكات والطوابير لانهم كلهم ابناء وطن واحد وان الحكومه العثمانيه مهتمه اليوم بتسليح الجيش كله في جميع

اطراف المملكة حتى يكون عند جميع الفيالق عدتها من بطاريات المدافع الحديثه ومن مدافع الجبال والمدافع السريعه الانطلاق وحتى تكون فيالق الجيش كلها تامة النظام والمعدات الحربية ومتى تم ذلك اصبح الجيش العثماني في مصاف اعظم الجيوش بل في مقدمه الجيوش وان الدوله مهتمه اليوم بالجيش لانه لا يوطد دعائم الدستور الا الجيش ولا يوءيد هلالنا الا الجيش ولا يعزز شأننا الا الجيش ولا يرفع مقامنا الا الجيش ولا يكيد اعداءنا الا الجيش . وما من افتخار الا كان هذا الجيش مصدره وما من شرف الا كان هذا الجيش عنوانه وما من عز الا كان هذا الجيش سببه فانهضوا ايها الاخوان وادخلوا في العسكرية العثمانية واخدموا الدولة وابذلوا النفس والنفيس في سبيل رفعها الى ذروة السعادة والكمال ولذلك خير لكم وابقى

﴿ تهنئة لجلالة مولانا السلطان ﴾

بشرى بذا العيد العظيم الشان
رقصت له طرباً بنو الاوطان
وكذا البلابل والطيور فانها

غنت مهنئـة على الاغصان

هـذا هو اليوم السعيد فانه

قد ساد فيه العدل في البلدان

عيـد جليل قد انارت شمسه

نورًا اضا من فضله الرباني

سبحان من يحيي الرميم فانه

احيـا الاماني من بني عثمان

فاليوم تاج للزمان يزينـه

وكذا رشاد زينة الاكوان

ملك حوى اعلى المعالي كلهـا

فوق الخيال بآيـة العرفان

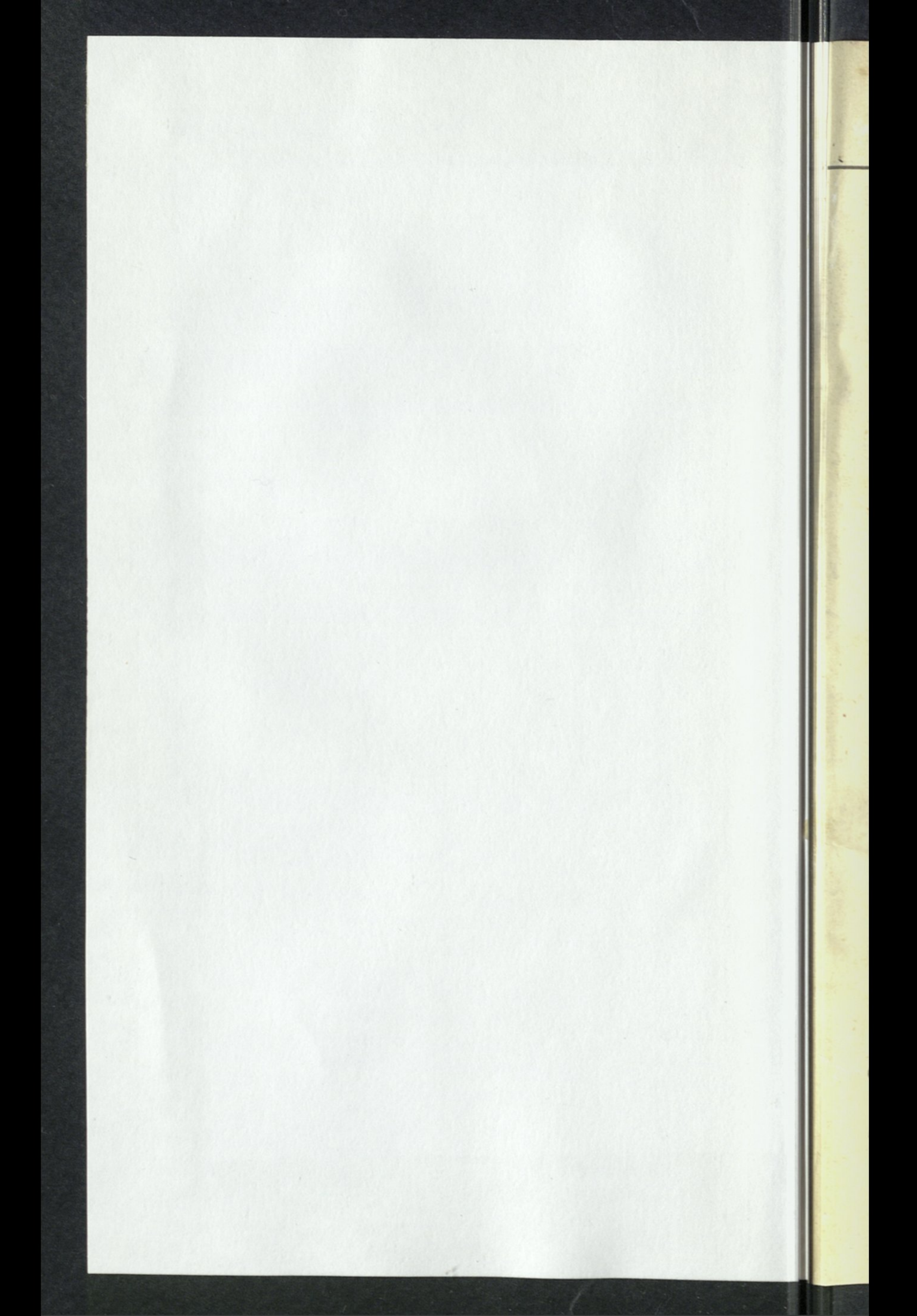
يسمو الانام بحكمـةٍ وفضيلةٍ

وزمانه من نخبـة الازمان

فادعوا له في كل حين واطلبوا

طول البقـاء لعرشه السلطاني

عزرا ساسون



DATE DUE

